ملامح عربية اسلامية
في الأدب الألبـاني

د. محمد م. الأرناؤوط

ملامح عربية إسلامية
في الأدب الألباني
دراسة

منشورات اتحاد الكتاب العرب

تصميم الغلاف : دعد وقاف

مقدمة

يجد القارىء في هذا الكتاب بعض الدراسات التي تجمعت هنا للمرة الأولى والتي يجمعها محور واحد ، المؤثرات العربية في الأدب الألباني ، يعكس بطبيعـة الحال أحد أوجه الصلات الأدبية العربية ــ الألبانية • وربما لا يحتاج الأمر الى توضيح بأن هذه الصلات الأدبية هي امتداد للصلات التاريخية التي ربطت بين العرب والألبانيين خلال القرون الماضية •

وفي الحقيقة ان هذه المؤثرات كانت انعكاساً لعملية التلاقح الثقافية الكبرى التي امتدت عدة قرون خلال وجود الامبراطوريـة العثمانية ، والتي شملت الآداب العربية والتركية والفارسية والالبانية والكردية الخ• وقـد صدرت حتى الآن عدة كتب ، سواء في اطار ((الأدب المقارن)) او في اطار ((الأدب الاسلامي ، تتناول الصلات بين هذه الآداب بشكل عام او تركـز على الصلات بين اديبين أو أكثر ، او تتركـز على المؤثرات العربيـة في كل ادب على حدة ، كالادب التركي والأدب الفارسـي • وبهـذا الكتاب نامل ان تتكامل الصورة اكثر وان ينفتـح المجال بشكل اوسع لاجراء دراسات مقارنة أخرى لرصد ماهو متنقل وماهو مشترك بين هذه الآداب • .

اما فيما يتعلق بالدراسات الواردة في هذا الكتاب فلا بد من التوضيح أن بعضها كان قد نشر في اللغة العربية قبل عدة سنوات ، بينما كان بعضها الآخر قد كتب باللغة الالبانية وبقي في هذه اللغة حتى الآن .

وفي الواقع إن تسلسل هذه الدراسات يكشف بشكل ما طبيعة الملامح العربية في الأدب الألباني . فمع عملية التلاقح الثقافية الكبرى برزت في الأدب الألباني ، سواء في الأدب الشعبي أو في الأدب الفردي، شخصيات كثيرة تعبر عن التغيرات الكثيرة التي طرأت على تراث الألبانيين بعد اعتناق الاسلام والتعايش الطويل مع الشعوب الشرقية في إطار الدولة الواحدة « الامبراطورية العثمانية » . ومن هذه الشخصيات الكثيرة اخترنا هنا ثلاث دراسات بحيث تتناول الأولى جحا العربي في الأدب الألباني مع مقارنة بمثيله العربي ،وتتناول الدراسة الثانية الشخصيات الكربلائية في إحدى الملاحم الألبانية المعروفة بعد أن أصبحت كربلاء تلهم الكثير من الأعمال الأدبية في اللغة الألبانية ، بينما تتناول الدراسة الثالثة شخصية معروفة « أروى » ذات حضور مميز في الأدبين العربي والألباني .

وإذا كانت هذه الشخصيات ، والمؤثرات الكثيرة الأخرى ، تعبر عن مرحلة طويلة من التعايش والتداخل بين شعوب وآداب المنطقة الواسعة الممتدة داخل الدولة العثمانية ، فان هذه المرحلة قد أرست الأساس على كل حال للمرحلة اللاحقة التي بدأت في مطلع القرن العشرين بعد ان استقلت هذه الشعوب في دول قومية . وهكذا فان المرحلة الجديدة تتسم بوجود موتيفات كثيرة عوضاً عن الشخصيات السابقة ، التي قامت في السابق بدورها في تعزيز التواصل الروحي

والثقافي بين هذه الشعوب . وفي الواقع ان هذه الموتيفات ، التي تعكس الآن استمرار الاهتمام بما يحـدث لدى الطرف الآخر ، تكاد تتحول الى مشاركة خاصة في اللغة الأخرى . وهكذا فالموتيفات الجزائرية خلال تصاعد الثور ةالجزائرية تكاد تتحول الى « شـعر جزائري » في اللغـة الألبانية ، كما هو الأمر أيضاً مع الموتيفات الفلسطينية في الشعر الألباني حيث يكـاد يظهر « شعر فلسطيني » في اللغـة الألبانية . ومن هنا فقد كان من الطبيعي أن نخص الموتيفات الجزائرية في الشـعر الألباني بدراسة هنـا ، وأن نخص الموتيفات الفلسطينية بدراسة أخرى ، إذ انهما تعبران بشكل أفضل عن هذه المرحلـة .

ومن ناحية أخرى فقـد آثرنا أن نضيف أخيرا دراسة تبين غزارة المفردات العربيـة في الأعمال الأدبية الالبانية ، واخترنا لذلك نموذجاً متأخرا يعكس مدى استمرار هذه المفردات في الأدب الالباني ومغزى وجودها في هذا الادب .

وأخيرا لا بد ان نشير الى أن هذا المحور ، المؤثرات العربيـة في الأدب الألباني ، اوسـع بكثير من الدراسات التي تمثله في هذا الكتاب . ومن هنـا نامل ان يتاح لنا الوقت لنشر دراسـات جديدة في طبعة اخـرى .

محمد م. الارناؤوط

جحا العربي وجحا الألباني

يتميز الألبانيون عن غيرهم من شعوب البلقان بأنهم احتفظوا لجحا اسمه العربي بالاضافة الى الاسم الآخر الذي شارع هناك ، أي نصر الدين ، في النوادر التي يتناقلوها • وفي الواقع يعتبر البلقان أغنى منطقة في أوروبا بنوادر جحا أو نصر الدين ، وهو لا يزال الى اليوم شخصية حية اذ تتردد نوادره في الحياة اليومية ، في اللحظات العابرة خلال النهار وفي السهرات الطويلة خلال الليل ، وتطبع نوادره باستمرار في مختلف اللغات البلقانية وتعقد حولها الدراسات المختلفة • وربما لا يثير هذا الاستغراب إذا أخذنا بعين الاعتبار التداخل والتعايش الطويل الذي استمر حوالي خمسة قرون بين شعوب البلقان وبين شعوب الشرق « الاتراك ، العرب ، الفرس ، الأكراد وغيرهم » التي كانت تحتفظ باحتياطي كبير من هذه النوادر •

ولكن نظرا لقيام الاتراك العثمانيين بدور الوسيط بين هذه الشعوب فقد انتشرت هذه النوادر باسم بطلها التركي نصر الدين ، بينما بقي اسم البطل الأصلي لجحا يتردد في بعض المناطق فقط • وكما فعل الاتراك العثمانيون ، حين اخذوا الأصل واضافوا اليه الكثير من ذاتهم ونوادرهم ، فقد اخذ جحا او نصر الدين يتعدد بتعدد

الشعوب التي تنسجم معه وتأخذ به كرمز للفكاهة . وهكذا بعد أن كانت سبع مدن في الماضي تتنازع حول موطن الشاعر هومير ، اذ أن كل مدينة كانت تدعي انها موطنه ، نجد الآن ان حوالي ثلاثين شعباً يتنازعون حول أصل جحا أو نصر الدين وأصل نوادرهما اذ ان كل شعب يدعي انه الموطن الأصلي لهما او لنوادرهما .

وفي الواقع كان الفضل يرجع الى المستشرق الفرنسي رينيه باسيه *R. Basset* الذي نشر قبل مئة سنة تقريباً ، في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، أبحاثه الرائدة التي بين فيها الأصل العربي « جحا » لنصر الدين [1] . وقد أثارت هذه الدراسات الرائدة للمستشرق باسيه العلماء ما بين مؤيد ومعارض . مما أثمر هذا عن دراسات كثيرة ومهمة فتحت المجال بدورها لدراسات مقارنة في مستويات متعددة . وهكذا لا بد أن نذكر على صعيد البلقان اسهام المستشرق اليوغسلافي فهيم بايراكتاروفيتش Fehim Bajraktarevic مشكلة نصر الدين [2] ودراسة الباحث اليوغسلافي ايفان شوب Ivan Sop (3) ثم اسهام المستشرقين السوفييت الذين وسعوا كثيراً أفق هذه القضية وخاصة خاريتونوف Haritonov في كتابه « ٢٣ نصر الدين » [4] وغيرهم .

وفي هذا الاطار قد تتضح الآن بشكل أفضل أرضية هذه الدراسة . فالألبانيون في هذه الحالة ليسوا إلا أحد الشعوب الكثيرة في العالم ، وبالتحديد في آسيا وشمال أفريقيا وجنوب أوروبا ، التي تحتضن هذه الشخصية والتي أفرزت بدورها شخصيتها الخاصة . ولكن بالمقارنة مع غيرهم من شعوب البلقان ، أو أوروبا الجنوبية ، يتضح أن

الألبانيون هم الشعب الوحيد الذي يحتفظ لهذه الشخصية بالاسم الأصلي « جحا » والاسم الشائع « نصر الدين » • وفي الواقع ان هذا يعود الى الظاهرة الخالصة بالألبانيين ألا وهي انتشارهم الواسع في اوروبا الجنوبية من صقلية الى استنبول • فمع قدوم الأتراك العثمانيين الى البلقان وصدامهم مع الألبانيين ، وخاصة بعد نهاية المقاومة الطويلة التي قادها زعيمهم المعروف أسكندر بك (٥) ، عبر عدد كبير من الالبانيين البحر الأدرياتيكي واستقروا في مناطق واسعة في جنوب إيطاليا « كابرلايا وصقلية » حيث لا يزالون الى اليوم قومية متماسكة (٦) • ومع ان هؤلاء الألبانيين ، أو الاربريشي كما يعرفون الى الآن (٧) ، يحافظون هناك على تراثهم الشعبي الأصلي الا انهم أخذوا بعض النوادر باسم بطلها العربي جحا التي كانت قد انتقلت من شمال افريقيا الى صقلية • ومن ناحية أخرى فقد بقي معظم الألبانيين في موطنهم ، الذي اصبح لعدة قرون جزءاً من الدولة العثمانية ، حيث أخذوا كغيرهم من الشعوب النوادر التي تحمل اسم نصر الدين Nasredin .

وعلى كل حال ان الهدف من هذه الدراسة هو تمييز النوادر الشائعة عند الألبانيين سواء التي ترد باسم جحا او نصر الدين ، للتوصل الى الأصل العربي لها • وفي الواقع أن الأصل العربي لهذه النوادر ((الألبانية)) لا يمكن تحديده ببساطة نظرا للطرق المختلفة التي سلكتها • فقد تعرفنا حتى الآن على طريقين رئيسيين لتنقل هذه النوادر من موطنها الأصلي الى مجالها الألباني الجديد : من المشرق عبر آسيا الصغرى الى البلقان ، ومن المشرق الى شمال

افريقيا فصقلية . وبالاضافة الى هذين الطريقين لدينا أيضاً الطريق المباشر . فقد كان للالبانيين وجود عسكري كثيف في البلاد العربية ، وخاصة في المشرق وشمال افريقيا ، ثم اصبح لهذا الوجود شكل جالية قوية في مصر في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. وبالاضافة الى هذا فقد كان الألبانيون يترددون كثيرا الى المناطق العربية بغرض الحج والدراسة والتجارة (٨) . وبفضل هذه الحركة الدائمة العسكرية ـ المدنية لا بد ان يكون قد انتقل شيء من النوادر بشكل مباشر من الوسط العربي الى الوسط الالباني .

ولكن الألبانيين ، كغيرهم من شعوب البلقان ، لم يكتفوا بالنوادر الأصلية كما وصلتهم بل عدلوا قليلاً في بعضها وأضافوا على بعضها الآخر شيئاً من ذاتهم ونفسيتهم ، كما أبدعوا نوادر جديدة على النمط نفسه باسم جحا أو نصر الدين . ولا شك أن ظروف الحياة الاجتماعية المتشابهة ، ووجود الدولة الواحدة بمؤسساتها الواحدة ، قد ساهم في سرعة تقبل هذه النوادر التي كانت تعبر عن وضع اجتماعي متشابه أو تمس مؤسسة من مؤسسات الدولة الواحدة « القضاء ، الحكم الخ» أو في بقاء النوادر على حالتها الأصلية . إلا أن نمطية هذه النوادر ، التي فرضت نفسها ، قد شجعت الألبانيين وغيرهم من الشعوب على إبداع نوادر جديدة باسم البطل نفسه تمثل هذه النمطية الشائعة . ومن الطبيعي أن هذا لم يكن ينفي إمكانية إبداع بعض النوادر التي تتميز بلون الباني ، أو بشيء ما يعبر عن هوية الشعب الذي أبدعها .

وتجدر الاشارة هنا الى أن عدد النوادر الألبانية التي تنسب الى جحا أو نصر الدين تفوق المئة • وفي الحقيقة إن الاهتمام بهذه النوادر، أي تسجيلها ونشرها ، قد بدأ في وقت متأخر ولم ينته حتى الآن مما يعني أن بعض النوادر قد فقدت • وهكذا فقد طبعت بعض نوادر جحا لأول مرة سنة ١٩١٣ في كتاب عن الأدب الشعبي في صقلية [٩] ، ثم في كتاب « الفولكلور الألباني » الذي صدر في تيرانا سنة ١٩٧٢ ، حيث ورد فيه ٦٤ نادرة باسم نصر الدين . وأخيراً في كتاب « النثر الشعبي في درينيستا » (يوغسلافيا) حيث ور دفيه ٤٦ نادرة لنصر الدين [١٠] • و في الواقع ان هذا العدد ليس بقليل فيما لو عرفنا أن مجموع النوادر التي سجلت لجحا أو نصر الدين لدى مختلف الشعوب تصل الى حوالي الألف تقريباً [١١] •

وبالاستناد الى ما تقدم يمكن أن نصنف النوادر الألبانية التي تهمنا هنا الى عدة أقسام :

من حيث الاسم :

١ ــ نوادر تحمل اسم البطل العربي جحا

٢ ــ نوادر تحمل اسم نصر الدين

٣ ــ نوادر لجحا او لنصر الدين دون اي اسم او باسم آخر •

من حيث الأصل :

١ ــ نوادر ذات اصل عربي واضح

٢ ــ نوادر ذات اصل تركي او آسيوي

٣ ــ نوادر ذات اصل محلي أو الباني •

وفي هذه المناسبة سنكتفي هنا بتتبع الأصل العربي للنوادر الألبانية الشائعة ، التي تحمل اسم جحا أو نصر الدين ، وتتعرض من جهة أخرى الى نماذج من النوادر الألبانية اللاحقة التي تعتمد أيضاً على اسم جحا أو نصر الدين وتعبر عن الوسط الألباني بطريقة ما .

وهكذا لدينا من النوادر التي حافظت على اسم جحا وعلى ملامحه العربية الأصلية واحدة من صقلية . وبالتحديد من الأدب الشعبي الألباني هناك . وعلى الرغم من التعديلات التي طرأت على النادرة المعروفة لدى الألبانيين هناك إلا انها لم تبتعد عن الأصل الذي كان شائعاً عند العرب . ففي النادرة المروية عند الألبانيين نجد أن والد جحا يخبر ابنه بانهم سيذبحون ويأكلون « الديك الذي يغني » وفي اليوم التالي خرج جحا فشاهد رجلاً يغني فاعتقد انه الديك الذي يغني فضربه بحجر أصاب منه مقتلاً في الحال . وحين جاء والد جحا وشاهد ما فعل ابنه خشي على نفسه من هذه الورطة فأخذ القتيل ورماه في البئر وألقى فوقه جلد كبش مذبوح . وهكذا عندما جاء بعد ذلك رجال السلطة يبحثون عن القتيل في كل مكان وصلوا الى البئر ورموا فيه شنكلاً ولكن لم يخرج معهم إلا جلد الكبش (١٢) .

أما الأصل العربي فلا يحتاج الى توثيق اذ انه ورد قبل عشرة قرون تقريباً في « مجمع الأمثال » و « حياة الحيوان الكبرى » الخ . ويحدد الكوفة بالذات على اعتبارها المدينة التي شهدت هذه الحادثة ـ النادرة :

خرج جحا يوماً في الغلس فعثر في دهليز منزله بقتيل،فألقاه في بئر هناك . فعلم به أبوه فأخرجه ودفنه ، ثم خنق كبشاً وألقاه في البئر. ثم ان أهل القتيـل طافوا في سكك الكوفة يبحثون عنه فتلقاهم جحا وقال : في دارنا رجل مقتول فانظروا لعله صاحبكم ، فغدوا الى منزله فأنزلوه في البئر ، فلما رأى الكبش ناداهم : هل لصاحبكم قرون ؟ فضحكوا منه وانصرفوا (١٣) .

وكما قلنا إن مقارنة النادرة العربية الأصلية مع النادرة الألبانية يظهر بوضوح العلاقـة بين الأب والابن ، وبالتحديد طابع الغفلة أو التغافل الذي يسم به جحا في النوادر العربية الأصلية .

ولدينا باسم جحا نادرة أخـرى تروي قصتـه حين اشتـرى قطعة من اللحم وتركها في البيت وحين عاد اليها وجـد أن الذباب قد أتى عليها . وفي هذه الحالة ذهب عند القاضي ليطالب بحقه فما كان من القاضي ، الذي أدرك فيـه الغفلة ، إلا أن حكم له بأن يقتص من الذباب بنفسـه ، أي ان يقتل فوراً أية ذبابة يراها . وفي تلك اللحظـة رفع جحا يده وصفع القاضي صفعة قوية ارتجت لها قاعة المحكمة ، فدهش القاضي وسأله عما فعله فأجابه جحا ببرود : لقد وقفت ذبابة على خدك ياسيدي ونفذت حكمك فوراً . (١٤)

وفي الواقع ان طابـع الغفلة او التغافل ، الـذي قد يتظاهر بـه جحا ليتصرف كما يحلو له ، يذكرنا بنادرة مشابهـة في المصادر العربية تروي قصة جحا حين كان ماراً في السوق فجاءه رجل من خلفه وصفعه صفعة شديدة . ولما التفت اليه جحا اعتذر اليه الرجل لأنه خيل اليـه ان جحا أحد أصحابه . إلا أن جحا أصر على أن يرفع الأمر للقاضي،

ـ الذي كان صديقاً للرجل ـ حكم على الرجل أن يدفع عشرة دراهم جزاءاً نقدياً وسمح اه أن يخرج من المحكمة لكي يحضرها ، وهو بهذا كان يفسح له المجال للفرار • وهكذا انتظر جحا عدة ساعات وحين أدرك انه ضحيـة خدعة تقدم من القاضي وصفعه صفعة قوية وقال : أيها القاضي إنني مشغول وليس لدي وقت للانتظار ، فأرجوك أن تأخذ الدراهم حين يأتي بها الرجل لأنني مستعجل (١٥) •

وهكذا يتمكن جحا في هاتين النادرتين من أن يصفع القاضي ، الذي يمثل على الدوام رمزاً سلبياً في هذه النوادر ، لعـدم ارتياحه للحكم الذي أصدره له •

ولدينا في الواقع نوادر أكثر من هذا النوع ترد باسم نصر الدين، بينما هي معروفة في مصادرها العربيةالقديمة باسم جحا •

وهكذا لدينا واحد ةمن هذه النوادر تروي أن زوجـة نصر الدين غضبت منه في إحـدى الليالي فدفعته بقوة مما أدى الى وقوعه من أعلى الدرج الى أسفـله والى احداث ضجة كبيرة • وفي صباح اليوم التالي سأله جاره :

ـ ما هذه الضجة التي كانت لديكم البارحة مساء ؟

ـ لا شيء ، لقد القت زوجتي بقميصي من اعلى الدرج •

ـ وهل يحدث القميص جلبة كهذه ؟

ـ نعم لانني كنت بداخله (١٦) •

وفي الواقع إن هـذه النادرة متطورة قليلاً عن الأصل الذي وردت فيه في المصادر العربية القديمة . فابن الجوزي يروي هذه النادرة في كتابه « أخبار الحمقى والمغفلين » على الشكل التالي :

عن أبي الحسن قال رجل لجحا : سمعت من داركم صراخاً ، قال : سقط قميصي من فوق ، قال : واذا سقط من فوق ؟ قال : يا أحمق لو كنت فيه أليس كنت قد وقعت معه [١٧] .

وهكذا فان الفرق بين النادرتين يكمن في غفلة النادرة فقط إذ ان طابع الغفلة أوضح في النادرة العربية ، بينما يتحول هذا الى نوع من التغافل في النادرة الألبانية .

ومن هذه النوادر لدينا واحدة أخرى تروي علاقة جحا أو نصر الدين مع ابنه . فالنادرة الألبانية تقول إن نصر الدين كان كلما يعطي ابنه الجرة ليملأها له يضربه أولاً ، فقال له صديق في أحد الأيام :

ـ لماذا تضربه طالما لم يسيء ؟

ـ هل تريد أن تقول بأن أضربه بعد أن يكسر الجرة ؟ ماالفائدة من ضربه حينئذ ؟

ومع ان هذه النادرة شاعت في الجانب العربي باسم جحا إلا انها وردت في المصادر العربية القديمة كـ « أخبار الحمقى والمغفلين » و « مضحك العبوس » على لسان أحد المعلمين المغفلين [١٩] . فقد ذكرها الجوزي في باب « في ذكر المغفلين من المعلمين » على هذا النحو :

ضرب معلم غلاماً فقيل له : لِمَ تضربه ؟ فقال إنما أضربه قبل أن يذنب لئلا يذنب [٢٠] .

ولدينا من هذه النوادر ايضا واحدة اخرى تتناول جانب الغفلة فيه . فقد خرج نصر الدين في احد الأيام الى السوق ليشتري لحما فقال له أحد أصحابه :

ــ من الأفضل أن تشتري كبدا فانه الذ من اللحم .

ــ ولكن لا اعرف كيف أعده للاكل

ــ سأعلمك أنا .

وهكذا كتب له صاحبه طريقة اعداد الكبد على ورقة لكي لا ينسى ذلك . واشترى نصر الدين الكبد وذهب الى البيت وأوقد نارا ولكن في تلك اللحظة حط على الكبد غراب البين وخطفه فقال نصر الدين :

ــ صحيح انك اخذت الكبد ولكن لنر كيف ستأكله لأن الورقة معي (٢١) .

أما الأصل العربي لهذه النادرة فيتميز بالايجاز الشديد :

اشترى جحا يوما لحما فانقض عليه عقاب وخطفه وطار به ، فنظر اليه وقال : ياشقي ، ومن أين لك خردل تأكله به ؟ (٢٢) .

وهكذا فان التطويل والتفاصيل الجديدة والحوار الذي نجده في النادرة الألبانية لا يغطي الأصل ، بل هو من الرتوش التي تلحق النادرة حين تنتقل من شعب الى آخر ومن قارة الى أخرى .

ومن هذه النوادر لدينا واحدة تنفرد عن غيرها بالحديث عن زوجتين لجحا أو نصر الدين ، إذ ان النوادر الأخرى تشير في العادة الى زوجة واحدة .

وتروى النادرة الألبانية على الشكل التالي :

كان لنصر الدين زوجتان وفي أحد الأيام اشترى خاتمين لهما وقال لكل واحدة حين أعطاها الخاتم :

ـ لا تقولي للأخرين إنني اشتريت لك خاتماً !

وهكذا أرضى نصر الدين غرور كل امراة اذ اخذت تعتقد كل واحدة أن نصر الدين يحبها أكثر من الأخرى . وفي إحدى الليالي حين كانوا يتناولون العشاء خطر لهما أن تسألاه :

ـ نصر الدين ، أية واحدة تحب منا أكثر من الأخرى ؟

ـ تلك التي أعطيتها الخاتم (٢٣) .

ومع ان هذه النادرة تروي أيضاً في الجانب العربي باسم جحا ، مع ان ما فيها يتناقض مع الغفلة ، إلا أن الأصل ينسب في الحقيقة الى نصيب الشاعر . فقد كان نصيب متزوجاً من ام محجن وتزوج من امرأة أخرى بعد أن صار غنياً ، فغضبت ام محجن ثم راضاها وأعطاها

ديناراً لكي تعد غذاء لزوجته الجديدة ، كما أعطى زوجته الجديدة ديناراً لكي تقـدم هدية ما الى ام محجن ، ثم اتفق مع صاحب له أن يسأله أثناء الغذاء عن الزوجة التي يحبها أكثر من الأخرى . فلما سأله صاحبه قال الشاعر نصيب :

ـ سبحان الله أتسألني عن هذا وهما تسمعان .. أما اذا قلت فاحبهما الي صاحبة الدينار والله لأزيدك على هذا شيئاً .

فأعرضت كل واحدة منها تضحك ونفسها مسرورة وهي تظن أنه عناها بذلك القول.[٢٤] .

إن التطويل هنا ، أو الاختصـار المطول ، مقصود لأنه يكشف مرة أخرى ان « الرتوش » التي تبدو بها الصورة الجديدة للنادرة بعـد عدة قرون لا يمكن أن يضيع الأصل « النيغاتيف » العربي للنادرة . ومن ناحية أخرى ان هذه النادرة كما رأينا لم تنسب في الأصل لجحا ، التي تتميز نوادره الأصليـة بطابع معين ، بل الحقت بـه في وقت متأخر ولذلك فإنهـا لا تحمل طابع الغفلة بل طابع الذكاء . ومن هنا فليس من الصدفـة أن يذكرها ابن الجوزي في كتابه « الأذكياء » .

والى جانب هذه النماذج لدينا في الجانب الألباني نوادر أخرى لجحا ولكنها ترد دون ذكر اسمه الحقيقي « جحـا » أو الشائع « نصر الدين » . ومن هذه النوادر لدينا واحـدة بعنوان « اللحم والقط » . ففي أحد الأيـام ، كما تروي هذه النادرة ، ذهب رجل الى السوق واشترى كيلو غرامين من لحم الضان وأعطاهـا لزوجته

لكي تعدهما للغذاء • وبعد أن ذهب الرجل شوت الزوجة اللحم وأكلته ، وحين رجع الرجل الى البيت قال لزوجته :

ـ ضعي لنا اللحم لكي نأكله •

ـ آه يا زوجي ، لقد اكله القط !!

ـ حسنا ، اجلبي لي القط لكي ازنه !

امسكت الزوجة بالقط وحملته لزوجها ، وقام هذا بوزن القط فوجده كيلو غرامين وقال حينئذ لزوجته :

ـ اللحم هنا ولكن اين القط ؟!

وفي الواقع ان هذه من النوادر الشائعة باسم جحا في الجانب العربي ، وحتى ان قفلة النادرة أصبحت من الأمثال الشائعة في ليبيا « ان كان هذا القط فأين اللحم ، وان كان هذا اللحم فأين القط[٢٦]؟

ومن النوادر الأخرى التي يمكن ان نذكر هنا لدينا النادرة المعروفة عن مسمار جحا ، تلك التي ألهمت بعض الشعراء والكتاب والمسرحيين العرب على إبداع أعمال جديدة حتى في هذا القرن [٢٧] • وفي الواقع لدينا في الجانب الألباني أكثر من نادرة متطورة عن الأصل العربي ، إلا ان المسمار الذي يستبدل في كل واحدة بشيء آخر يناسب أكثر الوسط الألباني • وهكذا تروي نادرة ألبانية ان أحد القرويين باع حماره لقروي آخر في قرية أخرى ، وكان كلما يذهب الى السوق الأسبوعي « البازار » يتوقف خلال طريقه في وقت الغداء عند ذلك القروي ويسأله عن حماره ، ويبقى عنده الى أن

يتغذى . ولما مل صاحب البيت من هـذا الضيف الثقيل عمد في ليلة السوق الأسبوعي الى ربط الحمار أمام باب البيت الخارجي ونام باطمئنان . وفي اليوم التالي جاء صاحب الحمار السابق وأخذ يطرق الباب ، فتظاهر صاحب البيت بأنه استفاق حينئذ من النوم وسأل :

ـ من يطرق الباب ؟

ـ أنا فلان .

ـ ماذا تريـد ؟

ـ اريد ان اسالك عن الحمار .

ـ هاهو امامك فاسأله ! (٢٨) .

وإذا اعتبرنا أن هذه مجرد « رتوش » ألبانية لا تخفي الأصل العربي لهذه النوادر الشائعة عند الألبانيين سواء باســم جحا أو نصر الدين ، فإن القســم الآخر من النوادر تحمل في ملامحهــا جحا الألباني وهكذا فإن النمطية الجحوية التي شــاعت لدى الشعوب البلقانية ساعدت الألبانيين أيضاً على أن يضيفوا شيئاً من عندهم الى هذا التراث الجحوي . وبعبارة أخرى ان هذه الاضافة تتعــدى في هذه الحالة « الرتوش » التي شاهدنا بعض النماذج منها ، وتصل الى إبداع نوادر جديدة باســم جحا أو نصر الدين . وهكذا نجــد في هذه النوادر أن الطابع الألباني أوضح ، حيث تبدو هنــا النفسية والعقلية والسلوكية الألبانية وأسماء الأشخاص والأماكن والأطعمة الخ.

ومن هذه النوادر يمكن أن نختار هنا اثنتين نموذجتين ، تتميز كل واحدة عن الأخرى في تمثيل نمط معين .

فالنادرة الأولى تحمل عنوان « نصر الدين في شكودرا » وهي تروي وصول نصر الدين الى مشارف هذه المدينة الألبانية العريقة التي يتميز سكانها بسعة أفقهم وسرعة بديهيتهم • وكان نصر الدين يبحث لنفسه عن مكان يستقر فيه ، وحين وصل مشارف المدينة وجد بعض الرجال فسلّم عليهم وأراد أن يجرب نفسه معهم ليعرف حظ هؤلاء الناس من الذكاء والمعرفة فسألهم : هل يمكن أن تدلوني على شيء أشتريه وأكل منه وأدع حماري يأكل منه ثم أعود وأبيعه لاسترد ثمنه ؟

أجابه أحدهم بسرعة :

ــ نعم ، يمكنك أن تشتري بطيخة •

وماذا أفعل بها ؟

ــ يمكن أن تعطي قشرها لحمارك ، وتأكل أنت بذرها وتبيع لبها فتستعيد بهذا ما دفعت لأجلها •

وهنا أدرك نصر الدين بسرعة أنه لا يستطيع أن يستعرض ذكاءه مع هؤلاء الناس وأن يستقر بينهم ، فسلّم عليهم وقفل راجعاً (٢٩) •

ففي هذه النادرة تبدو بوضوح النزعة الشكودرانية ، نسبة الى شكودرا ، التي لا تخفى في بقية الابداعات الشعبية والتي تصور النزعة الفوقية لسكان هذه المدينة بالنسبة لغيرهم من الألبانيين وحتى لبقية العالم ، حتى انهم ضربوا المثل في ذلك : « ما يوجد في شكودرا لا يوجد في العالم » (٣٠)

ولدينا نادرة أخرى عن جحا الألباني ، إذا صح التعبير ،وبالتحديد عن جحا وزوجته . ففي أحد الأيــام ، كما تقول النادرة ، اختلف نصر الدين مع زوجته حول من يسقي الحمار وافترقا على أن يسقي الحمار من يبادر أولاً للكلام مع الآخر . خرجت زوجته عند الجيران فوجدتهم يعدون « الطرخانة (31) Trahane فدعوها للأكل وسألوها عن نصر الدين فأجابتهم انه في البيت لا يتكلم مع أحد ، ولذلك أرسلوا أحد الأولاد مع صحن من « الطرخانة » الساخنة . وحين دخل الولد الى البيت شاهد جحا متربعاً لا يتحرك فسأله اين يضع الصحن فأشار اليه نصر الدين أن يضعه وراءه ، ولكن الوالد فهم من الاشارة أن يضعه فوقه . وهكذا دلق الولد صحن « الطرخانة » الساخنة فوق رأس نصر الدين إلا انه لم ينبس بشيء لكي لا يضطر للكلام . ولكن عندما جاءت زوجته ورأته على هذه الحالة صاحت : ماذا جرى لك يا نصر الدين ؟ فأجابها نصر الدين فوراً : هيا اسق الحمار !(٣٢)

وفي الواقع ان هذه النادرة تمثل نقدا ساخرا للعناد Inat أو للتعنت ، الذي يشتهر به الألبانيون . وهكذا فإن هذه النادرة تسخر من نموذج حي لهذا العناد أو التعنت حين يجر النشبث بقضية صغيرة الى التورط في قضية كبيرة . فجحا الألباني هنا يفضل أن يستسلم لاندلاق « الطرخانة » الساخنة عليه من أن يبادر الى الوقوف والخروج لسقي الحمار !

وأخيراً لا بد من القول ان هذه مجرد محاولة أولية لفرز النوادر الألبانية سواء ما يرد منهــا باسم جحا أو نصر الدين ، ولذلك فهي لا تحصر هنا كل النوادر بل تقدم منها نماذج فقط .

الهوامـــش

(١) كتب المستشرق باسيه دراسته الأولى ((ابحــاث حول ســي جحا وحول النوادر التي تنسب له

Recershes sur Si Djeha et les anecdotes qui lui sont attribuecs

تمقدمة للترجمة الفرنسية التي تضمنت ستين نادرة قبائلية من شمال افريقيا حول ((سي جحا)) :

A. Moulierasov, Les fourbeies de Si Djeh,a' contes Kabyles

Paris 1892 .

وقد وسع بلاسيه بحثه هذا ونشره سنة ١٩٠٠ في دراسة بعنوان ((اسهام حول تاريخ نوادر نصر الدين خوجة)) :

Contribution e I,histoire du sottiser de Nesr Eddin hodja.

(2) Fehim Bajraktarevic,' Naserdin - hodzin problem, Prilo·

zi za knjizevnost, jezik, istorju i folkolr, knj. xiv, beograd 1934
95- 102.

(3) Ivan Sop , Nasordinove metamorfze, Beograd 1973.

(4) M.S.Haritoniv, Dvascat, tri Naserddina, Moskva 1978.

(٥) للتوســع حول هذه الشخصية ومغزى الدور الذي لعبتــه انظر:

د . محمد موفاكو ، اسكندر بك الألباني ـ الرجل الذي أوقف مد الاسلام الى أوروبــا ، العربي عدد ٢٩٢ ، الكويت آذار ١٩٨٣ ص ١٤٠ـ١٤٥ .

(٦) يقدر عدد الالبانيين هناك بحوالي ربـع مليون ، وهم يتمتعون بمدارس وجرائد وفروع جامعية في اللغــة الالبانية . وحســب آخــر الدراسات الميدانية يبدو أن اكثر من خمسين قريــة وبلدة لا تزال تتحدث الألبانية ، بينما تلاشــت هذه اللغة في اربع واربعين قرية اخرى في ايطاليا الجنوبيــة :

Gjovalin Shkurtaj, Shpinti i arbrit rron, Tirane 1984.

(٧) كان ((الاربريش)) هو الاسم الذي يعرف بــه الألبانيون في القرون الوســطى ، اي في الوقت الذي هاجر فيــه الألبانيون الى ايطاليا ولذلك بقوا يعرفون بهذا الاسم حتى الآن . للتوسع حول هــذا انظر :

د . محمد موفاكو ، الالبانيون ـ عدة تسميات لأمــة واحــدة ، مجلة مجمع اللغة العربية ، مجلــد ٦٣ ، ج٤ ، دمشـــق ١٩٨٨ ، ص ٦٧٧٦ ـ ٦٨٤

(٨) للتوســع حول هذه الصلات التاريخيــة ودورها في مــد صــلات ادبية انظر :

د . محمد موفاكو ، مقدمة في الصلات الادبية العربية ــ الالبانية، التراث العربي، عدد تشرين الأول ، دمشق ١٩٨٠ ، ص ٤٨ ــ ٨٨ .

(9) Gmuseppe Pitre, Biblioteca delle tradizioni popolari siciliame - cartelli, pasquirate, canti del popolo siciliano, Palermo 1913.

(10) Instituti i fillklorit, Folklori shqiptar I, proza popullore V, Anekdodat, Tirane 1972.

(11) Anton Cetta, Proza popuaaore nga Drenica, Prishtine 1972.

(١٢) في كتابه المذكور (انظر هامش٤) جمع خاريتونوف ١١١٩ نادرة لجحا أو نصر الدين من ثلاثة وعشرين شعبا .

(13) G. Pitre, Biblioteca, P. 445.

(١٤) احمد بن محمد النيسابوري الميداني ، مجمع الأمثال، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، الجزء الأول ، القاهرة ١٩٥٥، ص ٢٢٣ .

(15) G. Pitre, Biblioteca, P. 444-445.

(١٦) يرجح فراج ان تكون هذه النادرة متطورة عن الاصل الذي ورد لدى ابن الجوزي في ((الأذكياء)) . انظر :

عبد الستار احمد فراج ، اخبار جحا ــ دراسة وتحقيق ، القاهرة ١٩٥٦ ، ص ١٠٥ .

(17) Demush Shala, Anekdodat popullore, Prishtine 1 - P. 56

(١٨) ابن الجوزي ، أخبار الحمقى والمغفلين ، مكتبة الغزالي ، ص٤٥ .

(19) Shala, Anekdodat popullore, P.68

(٢٠) يجب الا يفوتنا هنا ان لقب نصر الدين ((الخوجة)) hoca, hodza, hoxha يعني العلم او الشيخ الذي من اختصاصه ايضا تعليم الأولاد في الكتاب .

(٢١) ابن الجوزي ، اخبار الحمقى والمغفلين ص ١٤٢

(22) Shala, Anekdodat popullore, P.95

(٢٣) الأبي ، نثر الدرر ، فرج ٩٦

(24) Shala, Anekdotat popullore, P. 110

(٢٥) ابن الجوزي ، كتاب الأذكياء ، الطبعة الثالثة ، بيروت ١٩٧٩ ص ١٠١

(62) Shala, Anekdotat popullore, P. 65

(٢٧) علي مصطفى المصراتي ، جحا في ليبيا — دراسة في الأدب الشعبي ، طرابلس ١٩٨٥ ، ص ١٣٨

(٢٨) انظر نماذج من هذه الاعمال لدى المصراتي ، جحا في ليبيا ، ص ٥٧ — ٦٣

(92) Shala, Anekdotat popullore, P. 139-140

ص ١٤٠ . وفي هذه النادرة يروي ان جبليا من مرتفعات روغوفا Rrugova اهدى كلبة الى احد سكان السفح ، وكان كلما يذهب الى السوق الاسبوعي في مدينة بيا القريبة يتوقف في طريقه عند ذلك القروي ويسأله عن كلبته وينام عنده . ولما مل القروي من هذا الضيف الثقيل قال له في احدى الليالي :

ــ كلبتك بخير ! عندما تستيقظ في الصباح خذها معك لانك كدت ان تصبح شريكي بهذه الكلبة !

(٣٠) سجلنا هذه النادرة من محفوظات الباحث الموسوعي جودت لوشي ، خلال زيارة لنا الى تيرانا بتاريخ ٨ـ٥ـ١٩٨٨ .

(13) C, ka Shkodra muk c ka bota

(٣٢) الطرخانة وجبة شعبية تؤكل في الشتاء عادة وهي تشبه الكشكة ، وهي من العجين المجفف المخلوط بالحليب او اللبن الذي يضاف اليه الماء الساخن في الشتاء ليصبح جاهزا للاكل .

(٣٣) سجلنا هذه النادرة ايضاً من محفوظات الباحث لوشي خلال زيارتنا المذكورة الى تيرانا .

* * *

كربلاء في الأدب الألباني

مع انتشار الطريقة البكتاشية [1] في أوساط الألبانيين نمت لديهم تقاليد شعبية ،في العلاقات والعادات والاحتفالات الخ .فمن ذلك لدينا مثلا الاحتفال بالنوروز « ٢٢ آذار » ، بمولد الامام علي ، ومن المناسبات لدينا المأتم Matemi الذي ينظم في الأيام العشرة الأولى من شهر محرم في ذكرى شهداء كربلاء . وقد أصبحت لهذه المناسبة تقاليدها الخاصة في أوساط الألبانيين البكتاشيين .ففي خلال هذه الأيام العشرة لا يشربون الماء ، كمعايشة للعطش الذي حل بأبطال كربلاء . كما يتخلى الألبانيون عن الفخفخة في هذه الأيام ويذهبون للتكية لاستذكار أيام كربلاء ، حيث يرددون في الطريق : يا امام : يا امام ! [2]

ولكن في هذه الأيام العشرة لا يسترجع فيه ذكرى كربلاء فقط، بل الحوادث والتضحيات الأخرى لبعض الأنبياء وائمة أيضاً . وقد جرت العادة على تقسيم هذه الايام العشرة ، بحيث تترك كل ليلة لذكرى خاصة :

١ ـ في الليلة الأولى تسترجع فيها معاناة بعض الانبياء كآدم ونوح وابراهيم ويوسف وموسى واخيرا المسيح .

٢ ـ في الليلة الثانية تسترجع ذكرى النبي محمد (ص) وماعاناه مع قومه .

٣ ـ الليلة الثالثة تخصص لذكرى الامام علي الذي سقط شهيداً في سبيل العدالة .

٤ ـ في الليلة الرابعة تفتتح سيرة الامام الحسين .

٥ ـ الليلة الخامسة تترك لسيرة الامام الحسين

٦ ـ في الليلة السادسة تسترجع فيها ذكرى هجرة الامام الحسين من المدينة الى مكة .

٧ ـ الليلة السابعة تخصص لذكرى مسلم بن عقيل ، الذي ذهب مبعوثاً للحسين الى الكوفة ، حيث استشهد هناك .

٨ ـ في الليلة الثامنة تسترجع فيها ذكرى انطلاقة الحسين باتجاه الكوفة .

٩ ـ الليلة التاسعة تخصص لذكرى وصول الامام الحسين الى ضواحي الكوفة ، حيث يستلم رسالة مسلم الذي ينصحه بعدم القدوم .

١٠ ـ الليلة العاشرة تترك اخيرا لذكرى موقعة كربلاء . (٣٠)

ومع انتهاء المأتم يحضر ويقدم في التكية طبق من الحلوى يسمى عاشوراء Hashureja الذي يحضر سنويا في هذه المناسبة (٤) . وتحضر هذه الحلوى عادة باحتفال ديني ، حيث تنشد فيه المرثيات Merthije للامام الحسين . وبعد انتهاء هذا الاحتفال ، الذي

يتلوه دعاء ديني في جو مطبق من الحداد ، يتبـــن المشاركون على أكل حلوى عاشوراء • و في هذه الليالي العشر ، يتم استرجاع الذكرى بالأحاديث التي تستنـــد الى الروايات التاريخية حول هذه الموقعة ، مع بعض خيال الذي يناســـب الحال ، كما تنشد فيه القصائد التي تتناول فيـــه الموقعة • ومن الواضح انه لهذه الحاجة قد وضعـــت في القرن التاسع عشر ملحمة «الحديقة» لداليب فراشري Daip Frasheri (5) وترجمت في الوقت نفسه تقريباً «مختارات نامة » من قبل شاهين فراشري Shahin Frasheri (6) فقد كانت تنشد منهما القصائد في المناسبات الخاصة في التكايا ، ومن ذلك مناسبة كربلاء • وقد سمع هذه القصائد من هاتين الملحمتين ، الشاعر نعيم فراشـــري Naim Frasheri (7) في طفولته ، حيث كان يعرفهما جيدا • ومما لا شك فيـــه أن هذا قد فع نعيم الى التفكير في تأليف ملحمة أكثر أصالة للالبانيين في هذه المناسبات • وفعلاً عكف الشاعر ما بين سنوات ١٨٩٢ ــ ١٨٩٥ على كتابة ملحمة « كربلاء » Qerbelaja شعرا ، التي صدرت أخيرا في ١٨٩٨ في عشرة آلاف بيت من الشعر (٨) • وتعتبر من أفضل الابداعات ، لا في شعر نعيم فحسب ، بل في الأدب البكتاشي والألباني بشـــكل عـــام •

وقد قسم نعيم ملحمته هذه الى خمسة وعشرين فصلاً مرقمة ، دون عناوين ، بحيث يتناول كل فصل حادثة أو أكثر •

في الفصل الأول يتحدث نعيم عن العرب قبل الاســـلام ، عن ظهور النبي محمد «ص» ومقاومة الوثنيين له وعن كفـــاح النبي حتى هجرته الى المدينة وانتصار الاسلام • كما يتحدث في هذا الفصل عن

وفاة النبي ، عن صراع السقيفة ، وعن المشاكل التي أعقبت الخلافة حتى اغتيال عثمان بن عفان •

ويخصص نعيم الفصل الثاني عن مبايعة المسلمين للامام علي وعن عهده ، فيتحدث عن كفاحه في سبيل العدالة الاجتماعية ، فيقارنه مع كبار الأنبياء ، ويقارن معه الحلاج وابن عربي ، الذين « كافحوا جميعاً في سبيل الانسان ولتحرره من القيود التي تكبله » •

أما الفصل الثالث فيتناول فيه نعيم المشاكل التي أعقبت مبايعة الامام علي ، عن الصراع الذي توج بوقعة الجمل • ويبدو الامام علي في هذا الفصل في موقف دفع اليه دفعاً ، بحيث لا يستطيع إلا الدفاع عن نفسه ، ولذا يوصي أصحابه قبل الدخول في المعركة :

لنا اخوة

لكن الشيطان دخل بيننا

ليعبث بالفقراء !

لذا لا تشهروا السيوف لتقتلوا

بل عن أنفسكم لتدافعوا ،

والا فسوف تندمون

فهؤلاء هم اخوتنا

فهل يقتل اخ اخاه ؟

وفي الفصل الرابع يتحدث نعيم عن المشاكل الأخرى التي حلت بالأمة ،عن النزاع بين علي ومعاوية والى ما آل اليه من اقتتال بالسلاح

في معركة صفين • وهنا يتحدث نعيم عن الاستعداد للمعركه ، عن نجاح أصحاب علي في اختيار المكان المناسب . حيث بقي جنود معاوية دون ماء ، فاضطروا بعد ان كاد يقضي عليهم العطش ان يطلبوا بعض الماء • وهنا يبرز نعيم انسانية الامام علي ، على عكس ما حدث مع الحسين وأصحابه في كربلاء :

لن نتركـكم دون ماء ،

فالماء للـه

وليس للناس •

وفي هذا الفصل . كما في بقية الملحمة .بعض المبالغات التي ساق اليها الشاعر جو الملحمة • فمعركة صفين دامت فترة معروفة ، إلا انها عند نعيم أطول من ذلك بكثير :

اربعـة اشهر بقي فيها الجنود

يتقاتلون ليلا ونهارا دون انقطاع !

اوقف الحرب علي

وتشاور مع كبار اصحابـه

فذهبوا وقالوا لمعاوية :

ماذا تطلب انـت ؟

طالما ان عليا على قيد الحياة

فعد الى صوابك

ولا تترك الناس تقتل هكذا !

في الفصل الخامس يتحدث نعيم عن بطولات الامام علي في هذه الموقعة ، عن حصانــه الدلدل وعن سيفه « ذو الفقار » . ومن المعروف ان هذه هي البغلة البيضاء التي كانت للنبي محمد ، لكنها بقيت حية عند البكتاشيين ، حيث آلت الى الامام علي الذي خاض غمار المعارك بها وفي هذه المعركة يحاول علي ، بطريقة او بأخرى ، وقف اراقة الدمـــاء :

اقترب علي وقال :

قولوا له ليخرج

لاقول له عدة كلمات ،

اين هو ابن سفيان

الذي يطلب دم عثمان ؟

اخرج يامعاوية ! اخرج!

فانا لن اشهر سيفي في وجه احد

لنتبارز معا

ولننقذ الناس

الذين لا ذنب لهم .

الا أن معاوية لم يجب ، وهكذا استمرت المعركة . وبعـــد هذا يتحدث نعيم عن هزيمة جنود معاوية ولجوئهم الى الحيلة برفع القرآن، وما أعقب ذلك من توسيط أبي موســى الأشعري وخدعة عمرو بن العاص له ... الخ.

وفيما بعد ، في الفصل السادس يتحدث نعيم عن اغتيال الامام علي من قبل ابن ملجم ، الشيء الذي يربطه نعيم بـ « اصبع معاوية» الذي يراه وراء هذا الاغتيال . كما يتحدث عن نقل جثمان الامام علي الى النجف حيث واراه أصحابه ، لكن :

هو ما زال حيا الى اليوم

للمشتاق اليه .

كما يتحدث نعيم عن مبايعة أصحابه للامام الحسن من بعده . إلا انه سرعان ما يتعرض لمحاولة اغتيال فاشلة ، حيث ينهال عليه أحدهم طنعاً بالسكن . وفي هذه اللحظة يعرف نعيم كيف يبرز الامام :

انهال عليه طعنا

بكل ما استطاع من قوة .

تراخى الامام وقال :

لا تمسوه ، لا تقتلوه !

لكن أصحابه ما سمعوه

بل اجهزوا عليه .

ومع ان الامام شفي من جراحه ، إلا انه سرعان ما تعرض لمحاولات أخرى لقتله عن طريق السم حتى فشلت فيه أربعون محاولة كما يقول نعيم . إلا أن المحاولة الأخيرة كما تقول نجحت ، وهنا يرى نعيم أيضاً « اصبع معاوية » وراء هذه المحاولة . وبهذا يقر نعيم بانتصار معاوية ولكن أي انتصار .

دخل السرور الى قلبه

وما عاد الآن

يطلب دم عثمان

بل ماعاد يذكره على لسانه

في الفصل السابع يتحدث نعيم عن محاولات معاويـة لتأمين البيعة والخلافة لابنـه يزيد من بعده ، حيث ينجح في ذلك رغم المعارضة التي لقيها . ونتيجة لموقف الحسين المعارض يتعرض لمحاولة اغتيال ، الا انه ينجو منهـا ، ويفر من المدينة الى مكة . وهناك تصل إليـه رسالة أهل الكوفة الذين يطلبون منه القدوم :

نطلب العفو منك

على ما بدر منا

فقد عرفنا الآن يزيد

ورجاله وحاشيته على حقيقتهم

نحن الآن نبايعـك

وكلنا رغبة في مشاهدتك

لكن أصحابه نصحوه ورجوه ألا يقبل ، ولكنه يقبل اخيرا بارسال مسلم بن عقيل مع ولديـه ابراهيم والمختار . هناك يستقبل خير استقبال ويكتب رسالة مستعجلة للحسين يطالبه فيها بالقدوم ، لكن أصحابه يلحون عليه بالرفض . وهنا تكمن حيرة الحسين ، بل أزمته، كان يعرف ما سيحدث ولكنـه مضطر الى الذهاب :

الامام كان عارفا بالأمر

لكنه كان في حيرة ،

فهم لن يتركوه بمكة

والعدو يلاحقه .

كان عليه ان يترك مكة

ويذهب للكوفة

مع أن اصحابه ضد رايه

ومن ناحية أخرى تكون الفاجعة قد حلت في الكوفة ، في مسلم بن عقيل ، فبعد أن اجتمع حوله عشرون الف مسلح على مبايعة الحسين ، وجد نفسه وحيدا في البيت الذي حوصر فيه ، فأرسل وراء أولئك الذين بايعوا الحسين :

بعث خبرا الى اصحابه :

ليخرج من به شجاعة !

ولكن من عشرين الف محارب

لم يخرج أحد

بل تركوه وخذلوه !

ويترك نعيم الفصل الثامن للمواجهة بين جنود عبيد الله بن زياد وابن مسلم . فمع الخيبة التي أصيب بها مسلم لم يقبل بالاستسلام، بل صمم على مواجهة هؤلاء الجنود :

شهر مسلم سلاحه

واخذ يضرب بـه

ولم يعد ينظر اين ومن يضرب!!

قتل نحو مئتين

وارغم الآخرين على الرجوع

لكن عددهم كان في ازدياد

فعادوا وحاصروه،

رموه بالحجارة والسهام

وهجموا عليه بالسيوف ،

اصابوا راسـه

حطموا كتفيـه

حطموا كتفيه

مزقوا صدره ،

واوقعوه عدة مرات

لكنه استند الى الجدار ،

كل جرح فيه تحول الى عين

من نزيف الـدم ،

لكنه بقي مستندا الى الجدار

وعاد الاعداء يحاصرونه

وبكل ما لديهم يضربونه

صعد مسلم هناك

وطلب منهم جرعة ماء ،

لكنهم رفضوا

وشددوا عليـــه الحصار .

في تلك اللحظــة

جاءت له عجوز بكاس ماء

فتقدم مسلم ليشرب

لكنه ما استطاع من نزف جراحه !

في الفصل التاســع يتحدث نعيم عن تقدم الامام الحسين نحو الكوفــة ، حيث يبدأ تأزم الموقف . في الطريق يلقــاه الشاعر الفرزدق ويرجوه أن يقلع عن فكرتــه وأن يعود من حيث أتى . إلا أن الامام يصر على متابعة سيره باتجاه الكوفة . في الطريق يصل الى الجماعة المحيطة به خبر مقتل مسلم بن عقيل مع ولديه فتنهار أعصــاب الكثير منهم ، ويهرب أكثرهم تاركين الامام مع حفنة من أصحابه :

قال الامام : اذهبوا !

لا اريد ان تبقوا

ليبقَ معي

من يرغب في الموت فقط !

وتتابع الجماعة المسير ، الحسين مع قلة مخلصة من أصحابه ، الى ان يتعرض طريقها الحر بن يزيد التميمي على رأس فوة من ألف فارس . وهنا يستغل نعيم الموقف ليقــدم لحظة مؤثرة من حوار الاثنيــن :

قال الامام : قل لي

هل جئت لتحاربني

او لتساعدني ؟

واجاب : انا من الاصحاب

هبط الحر ليقبل قدمه

ولذا أرجوك أن تعود

دع الكوفة

وعد ثانية الى مكــة !

وأمام هذا الرجاء يزاد الامام أصراراً على متابعة سيره :

لن اعود ، لأنني بعودتي

سيسخر العالم مني .

لن اعود ابدا للوراء

بلَ ساموت هنا كرجل !

فانا اسعى في سبيلَ الحقَ

واحترق في سبيل الحقيقة

لانقاذ الانسانية !

الموت يبدو امام اعيننا

فنحن لسنا خالدين في هذه الحياة

افلن نموت مرة ؟

فلم نبقى اذن على قيد الحياة

في هذا المســاء ؟

وهنا نجد الحر يقتنع بما يقوله الامام ، ولكنه يحاور بدوره أن يقنــع الامام بضرورة عودته :

قال الحر : ما تقوله هو الحقيقة

لكن ما بقي شيء في الحياة

فهم لا يعرفون الحق

ولا ينظرون الى الحقيقة

قل من الكلام ما تريد

ولكن ليست هناك فائدة ،

لانك ستعاني اكثر

فالخوف قد اعمى عيونهم .

وفعلاً يمكن نعيم الحر بن يزيد أن يقنع الامام بضرورة عودته ، الشـــيء الذي يخالف الوقائع التي نعرفها ، وذلك بهدف تأزيم الحدث الذي يلجأ اليه نعيم في كثير من الأحيان . فالامام يقتنع أخيراً ويتخذ قراراً بالعودة الى مكة ، إلا أن الظلام شتتهم فاذا هم في الصباح في الطريق القديم ، في طريق الكوفة ، في كربلاء !

في الفصل العاشر يتحدث نعيم عن اللحظات الأولى من وصول الامام الى كربلاء ، وعن الاحتكاك الأول مع رجال ابن زياد . الامام يطلب منهم أن يسمحوا له بالعودة من حيث أتى ، وأن يتركوه حراً في شؤونه ، وهؤلاء يوافقون بشرط أن يبايع يزيداً ، الشيء الذي كان يرفضه الامام بقوة واصرار . وعندما يسمع ابن زياد بالكوفة بموقف الامام يطلب من رجاله أن يشددوا الحصار على الامام وأصحابه، وأن يقطعوا عنهم ماء الفرات . وهنا تبدأ المعاناة من العطش وتصبح اللحظات بطيئة للغاية أمام هذا التأزم الجديد :

استسلم الامام للنعاس

فرأى الله في نومه

محمداً وعليا

وامه فاطمة

مع أخيه الحسن .

رأى كل من في تلك الحياة

رأى عرش اللــه

رأى الملائكــة وهم يبكون

وقال له كل من كان هناك :

نحن في انتظارك !

ومع صحوة الامام ، بدأ ان الاشتباك لا مهرب منه . إلا أن الامام كان يجـد من يعزيه في هذه اللحظة . فقد كان أصحابه يزدادون حماسـة :

نريد ان نموت معك

لا أن نبقى من بعـدك !

في الفصل الحادي عشر يقترب بنا نعيم من اللحظات الأخيرة التي سبقت الاشتباك . ففي هذه اللحظـات يجري الحوار الأخير بين الامام وعمر بن سعد :

انا للموت سائر

لكن قضيتي لن تموت ؛

بل سيطالب بدمي هذا .

فالعالم لن ينسـى

ويصر عمر على ضرورة مبايعة الامام ليزيد ، لكن هذا لا يزيد الامام إلا إصراراً على معارضته . وبعـد انقطاع هذا الحوار يبدأ حوار القوة بين الطرفين . ولكن في هذه اللحظات ينتقل نعيم الى الطرف الآخر ، لينقل لنا مشهداً يعبر عن التناقضات فيه ؛ فهو حوار بين الحر بن يزيد وعمر بن سعد :

من سنحـــارب

الله العظيم الذي نؤمن به ؟

فكيف سنعيش في هذه الحياة

امام الله الحق ؟

قال الحر هذه الكلمات

وفاضت عيناه بالدموع

وفعلاً في لحظـــة مؤثرة ، ترك الحر بن يزيد جيش عمر بن سعد، لينضم الى أصحاب الامام الحسين ، حيث قاتل معه قتال الأبطال :

كان سيفه يقطر دما

ولم يعد في استطاعة احد أن يصمد أمامه ،

ولكن واحدا منهم رمى بسهمه

فاصاب حصانـــه .

ســقط الحر

ولكنـــه سرعان ما نهض واقفاً

صارخاً : لا اريد حياة بل استشهادا !

فارسل الامام رجلا

ليرسل للحر حصاناً ،

ركب الحصـــــان

وعاد ثانية للقتــال

قتل واطاح بالأعناق

حتى سال الدم بين الأقدام .

فصرخ شمّر بالجيش :

مالكم ، أين تهربون ،

أتخافون هكذا من رجل واحد ؟

فتجمع الجنود ثانيــة

واتقوا بأنفسهم على الحر

رموه كلهم بالسهام

فاصابوه بجروح كثيرة

حتى انه غرق في دمائه .

عاد الى الامام

فانزله بنفسه من على حصانه

وبين يديه

عاد الحر الى ربه !

في الفصل الثاني عشر يتابع نعيم عرض المعركة ، مفصلاً في تصوير التضحيات العظيمة التي يقدمها أصحاب الحسين في سبيل امامهم .
وهنا يخرج نعيم قليلاً عن الأحداث ليأخذ رمزها :

فالقلب الذي لا يبكي

ولا يشعر بالأحزان

لا يعرف الانسانية ابدا !

ونعيم يلتفت الى الألبانيين ، في نهاية هذا الفصل ، ليخاطبهم باسمهم وليطالبهم بتذكر هذا اليوم :

يا أيها الألبان ، أذرفوا الدموع !

أنتم يامن تؤمنون بعلي

يا من تؤمنون بالانسان

يامن تحبون الامام الحسين

والأم فاطمـة

والائمة الاثني عشر

الذين عانوا في سبيلنا

تذكروا ذلك اليوم ،

تذكروا كربلاء

وما حدث بها !

في الفصل الثالث عشر ، حين يشتد وطيـس المعركة ، يحدثنا نعيم عن بطولات بعض شهداء المعركة الذين استبسلوا حتى اللحظة الأخيرة في الدفاع عن امامهم ، من هؤلاء يحدثنا عن عبد الله بن مسلم وعن

محمد حفيد جعفر الطيار حيث يذكرنا ببطولة جده بدفاعه عن الراية بكل أعضائه . هنا يبرز محمد ، حيث يصوره نعيم تباعث لذكرى جده ولبطولاته في هذه الموقعة ، فيستشهد بعد كفاح طويل . ويخرج للثأر له أخوه الأول ، ومن ثم أخوه الثاني . فيقاتلان الى أن يقتلا بعد كفاح مرير . وبعد هؤلاء يأتي دور أبناء الامام الحسن :

خرج اولا عبد الله

تاركاً النساء في بكاء ،

فصعد حصانه ومضى

وعندما صهل

اثار غبار الأرض من حوله .

ومن ذلك القوم

تمكن سيفه من ستة وثلاثين

بقوا مطروحين على الأرض ،

فلم تبق جراة لدى اي امرىء

ليخرج امامه للقتال

بل تركوه وحيدا في الميدان

فسمع صوت من بينهم :

اتركوه وحيدا هناك

فسوف يتمكن منه العطش ويموت !

وفي مشكلة العطش يروي نعيم مشاهد فاجعة في الفصل الرابع عشر • فالعطش أصبح سلاحاً لا يقاوم في وجه الحسين وأصحابه • فالماء أمامهم والعدو يحاصرهم والشمس اللاهبة من فوقهم ، وليس لهم إلا الشهادة أو الاستسلام • ومع ذلك فالكبار كانوا يتحملون هذا العطش للحظات أخرى ،ولكن ما شأن الأطفال :

اسمعوا ياسادة !

تتقاتلون معنا ، مع الرجال

ولكن مالكم مع الاطفال

لماذا لا تسمحون لهم بشرب الماء ؟

ولما رأى العباس أن هؤلاء لا يزدادون إلا إصرارا على حصارهم ومضايقتهم بسلاح العطش ، توجه بجواده صوب الفرات مخترقاً الحصار :

نزل في الماء بكل عطشه ،

اراد ان يسقي حصانه •

وان يشرب بنفسه •

تذكر اصحابه العطاش

فملأ قربته وكر عائدا

لكن الأعداء قطعوا طريقه

وامطروه بمئات السهام

كانوا كثرة كثيرة

فمن يقتل منهم ليقتل ؟

قتل وجرح منهم مااستطاع

ولكنه جرح في النهاية ،

قطعوا له اطرافه

فحمل القربة في فمه ،

ولكز الجواد بقدمه

كما فعل في الماضي

عمه جعفر الطيار

لكن سهماً لعيناً

اخترق القربة

فسال منها الماء

حتى لم يبق فيها قطرة

فاصيب بالخيبة

كان الماء يسيل منه

مع الدمع والدم !

وفي الفصل الخامس عشر يصور لنا نعيم بطولات عظيمة من معركة اكربلاء » فيتحدث أولاً عن علي الأكبر ، الذي « حول باستشهاده

النهار الى ليل » • وقد أثار استشهاده حماسة زين العابدين ، الذي كان مريضاً ، فتمالك نفسه وخرج يريد الحسين ليستأذنه في الخروج للقتال • إلا أن الحسين يعارضه في ذلك ويقنعه بالبقاء من خلال فلسفة الحياة والموت :

قال الحسين : البطل

لا تهزمه المعاناة !

أولئك ذهبوا الى تلك الحياة ،

لدى الله الحق ،

حيث اجتمعوا مع الله

ومع محمد وعلي

ومع الأم فاطمة والحسن •

هذه الحياة مثلها مثل النعاس

فالروح تصحو بعد الموت ،

والانسان الحقيقي

لا يموت أبدا في هذه الحياة •

ان الله عز وجلّ

لم يكتب لك هذا اليوم ،

فبعدنا سيأتي دورك وتلحق بنا

حيث تجدنا في تلك الحياة

فالموت لم يكتب لك اليوم

بل لقد ترك لك ليوم آخر •

في الفصل السادس عشر يتحدث نعيم عن الامام الحسين حديثاً مطولاً . فبعد أن رأى الامام أن الدائرة تضيق حوله صمم على الخروج ، حيث أراد أن يتوجه بكلمة اخيرة الى أعدائه . وفي هذه الكلمة الأخيرة يعبر نعيم عن كل شيء في نفسية الامام :

لا يسؤوني ما جرى لنا

لان هذا ما كتبه الله ،

بل يسؤوني ما جرى للوطن

للعهد والدين

والانسانية .

ما اردت في حياتي

ان اقاتل الناس ،

ما اردت ان احمل وزر ذبابة

لاقتلها

فكيف اقتل الناس ؟!

هذه المجزرة لن تنسى ابدا

بل ستذكر دائما ،

ستبقى في ذاكرة العالم

طالما طالت هذه الحياة .

لا تتركوني حياً

فانا لن اعيش بعد الآن !

أرموا ، ارموا بسهامكم

فقد قتلتم اصحابي كافة ،

وتركتموني وحيدا .

لن اعود دون اصحابي

بلّ ساموت هنا !

وقد كانَ لهذه الكلمة ، عنـــد نعيم ، تأثير كبير فيّ جيش أعداء الحسين ، فقد صدمتهم الحقيقة التي بدت واضحـــة من كلمة الامام . إلا أن شمر عاود تحريضهم وترهيبهم ليعاودوا الهجوم على الامام . وهنا يلجأ نعيم الى الاستعانـــة بالله في المعمعة لانقاذ الحسين :

السهام اصبحت كشبكة من كثرتها

فوق راس الحسين ،

فقد حجبت الشمس بكثافتها

وظللت المكان بظلها

ولكن اللـــه مد يـــده

فلم يمس واحد منها جســـم الامام

والفصل التالي ، السابع عشر ، هو ذروة الملحمة ، فهو للحسين بكامله . ففيه يحدثنا نعيم عن فراقَ الحسين لنسائه وأولاده ورفضه

لاصطحاب أي منهم للقتال . وبعـد هذا ينتقل نعيم الى هجوم الحسين على أعدائه ، مما حوّل كربلاء الى بحر من الدماء :

كان بامكانه أن ينال الجميع

لكنــه كان يتلظى دون ماء ،

اقترب من النهر

توقف قليلا وتفكر

تذكر اصحابه

فانهمرت دموعه

وعاد الحسين ليحارب ببطولة حتى بلغت جروحه سبعين جرحاً، اكما يقول نعيم . إلا أن هذا لم يمنعه من متابعة هجومه على أعدائه ، الذين سيطر عليهم الرعب :

انهمرت السهام عليه كالمطر

كانوا يرمونه من بعيـد ،

فما كانوا يتجرؤون على الاقتراب منه .

لكن محاولة الحسين كانت تزداد صعوبة ، بتكاثر الأعداء عليه وازدياد جروحه :

بلغت جروحه الآلاف

التي تسيل منها الدماء ،

لكنه لم يستسلم

بلْ بقي صامدا بسلاحـه .

انـت ياغلام ! أين كنت ،

لماذا لم يقتلوك في كربلاء

لماذا تركوك حيا ؟

لماذا تسالني انا ؟

لقد طلبت الموت

. . . .

فما اردت ان أعيش اكثر ،

لقد اراد الجنود ان يقتلوني

ولكن اللـه انقذني ،

فيـد اللـه

فوق أيادي الناس !

. . . .

ها أنا هنا ، لم لا تقتلوني ؟

الا يكفي أولئك الذينْ سقطوا شهداء

في كربلاء ؟

بل يغضبكَ الآن

انهم تركوني حياً

وفي بداية الفصل التاسع عشر يحدثنا نعيم عن انتشارخبر فاجعة كربلاء في العالم وما ترك ذلك من أثر : ـ

طار الخبر بسرعة

ليعم ارجاء الأرض ،

كانه على جناح طير ،

فعلم الجميع

وبكت كل الانسانية

وبعد هذا يحدثنا نعيم عن وصول رأس الحسين الى حضرة يزيد مع جنوده ، وكيف نظر اليه ونكث ثغره بقضيب كان بيده ، إلا أن هذا المشهد قد استثار حتى أولئك المحيطين بيزيد ، ومن هؤلاء النمير :

وفي هذه الحالة أطبق عليه المزيد من جنود العدو ،كما يقول نعيم ، فبقي صامدا لفترة أخرى حتى نفدت قوته فسقط شهيدا .

سقط عمود الانسانية

نور اللـــه ،

فاهتزت سهول كربلاء

واظلمت السماء ،

اهتزت كل الأرض

لدى سقوط الامام

في الفصل الثامن عشر يتحدث نعيم عن موقعة كربلاء بعد سقوط الحسين ، فيرى أن هذه الموقعـــة ليست هزيمة للحسين •

وفيما بعد يحدثنا نعيم عن اصطحاب الجيش لمن بقي حياً من أصحاب البيت ، ومنهم زين العابدين ، الى الكوفـــة • ويبرز لنا نعيم في هذا الفصل دخول من تبقى من الجماعـــة ، على تلك الحالة البائسة ، شوارع الكوفة حتى وصولهم ووقوفهم أمام عبيـــد الله بن زياد ، الذي يغضب لرؤية زين العابدين على قيد الحياة :

بكى كثيرا وقال :

لماذا تركني اللـــه

اعيش لأرى هذه السيئات ؟

ورأى يزيد انه بموقفه قـــد أثار سخط المحيطين به أيضاً ، فأراد ، كما يقول نعيم ، أن يتصرف بشكل ما ليلقي مسؤولية هذه الجريمة على غيره :

اراد ان يغطي ذنبه

فما استطاع قتل النمير

بل قتل البشير ،

لأنه افسد عمله

وجلب الخطر حول راسه !

وكما هو معروف ، فقد جاء بعد يزيد معاوية الثاني ، إلا انه كان لا مبالياً بالسلطة ففضل أن يتركها . وهنا يستغل نعيم رفض معاوية الثاني للعرش ليحوله الى رفض سياسي ، بل الى محاكمة سياسية :

اسمعوا ما اقوله :
ابحثوا عن ملك آخر
فانا لن ابقى
في عرش دموي !
فهذا العرش ملعون
لانه اقيم فوق نهر من الدم ،
وما فعلاه هما لن افعله انا !

ولكن يكمل نعيم صورة هذا الرفض الواعي لمعاوية الثاني يضيف بأنه قد اغتيل اغتيالاً ولم يمت موتاً طبيعياً وذلك نتيجة لموقفه .

وفي الفصلين اللاحقين ، العشرين والواحد والعشرين ، يتحدث نعيم عن تتابع بقية الأئمة حتى آخر العهد الأموي . أما في الفصلين الآخرين ، الثاني والعشرين والثالث والعشرين ، فيتحدث عن سقوط الحكم الأموي عن طريق الجيوش التي تدفقت من الشرق تحت شعار الدعوة لعلي ولأهل البيت . وفي الفصل قبل الأخير ، الرابع والعشرين ، يتحدث نعيم عن استصفاء العباسيين للسلطة في بغداد ، التي أصبحت باسمهم ، وينتقدهم لعودتهم الى سلوك العهد الأموي . وفي هذا الفصل يتحدث نعيم عن تسميم الأئمة في هذا العهد ، الواحد بعد الآخر ، من جعفر الصادق حتى محمد المهدي :

الملائكة رفعت بأجنحتها

الامام المهدي ،

انتشلوه من بين الناس

ورفعوه عنـد اللـه

حيث لا يزال على قيد الحياة .

والفصل الأخير في هذه الملحمة ، الخامس والعشرين ، يتميز عن كل الفصولَ الأخرى .

وفي نهاية هذا الفصل يؤكد نعيم المضمون المترابط الانساني ـ القومي للدين ، حتى انه ليبدو أن هدف كل هذه الملحمة هي ما يريد ان يبثه نعيم من شعور قومي في نفوس الألبانيين بالذات . فهو في ذلك يريد أن يحررهم من عقدة الدين ـ القومية ، أي بمعنى أن الشعور القومي لا يتناقض مع الدين :

لنحب بني الانسان ،

لنحب البانيا والالبانيين

لنحب لغتنا ووطننا ،

لنتعلم لغتنا

فاللـه قد منحنا إياها ،

ولكل قوم وطنـه

كما للعصفور عشـه .

تكلموا بلغتكم

لا بلغات اجنبيـــة

فلم يضغطون علي

لتعلموني لغـة اخرى

لانسى لغتي ؟

ولا شك أن الشاعر نعيم في هذه الأبيات ، وغيرها من ابداعاته وكناياته ، قـد مارس تأثيراً كبيرا في نفوس الألبانيين. فالسلطةالتركية قد استعملت بنجاح عامل الدين في المناطق الألبانية ، بحيث أن كلمـة « تركي » التي أصبحت مرادفة لمسلم ، قـد أصبحت تطلق على الألبانيين ، وبالتالي لم يعد هناك وجود للألبانيين أو للغة ألبانية في نظر السلطة التركية . فهذه السلطة كانت تكافح كل محاولة لفتـح مدرسة لتعليم الألبانية ، كما كانت تحارب كل محاولـة للاستقلال تنبع من الشعور القومي الألباني ، الذي أصبح مصادرا ومعادياً للدين . لكن «نعيـم» يطرح كما نرى هنا الأمور من منطق ديني معاكس . فلدى نعيـم لا يوجد تناقض في جوهر الدين بين حب بني الانسان وبين حب الألبانيين لأنفسهم ، كما أن « لكـل قوم وطنه كما للعصفور عشه » . فبهذا المنطق فان للالبانيين وطنهم كما للاتراك وطنهم ، ومن حقهم التمتع به . وبالمنطق نفسه يعالج نعيم مسألة اللغة : « لنتعلم لغتنا ، فالله قـد منحنا إياها » ، حيث أنه بهذا يحول اللغة الألبانية الى لغة مقدسة ، لا بد من تعلمها لأنها من عند الله . وطالما أنهـا لغة « من عند الله » فمن حقه أن يحتج على تعليمه لغة أخرى « التركيـة » لكي لا ينسى لغته التي هي من عند الله .

وبهذه الروح القومية يختتم نعيم ملحمته ، فهـو يحاول أن يربط كربلاء والشخصيات الكربلائية بشكل ما بمصير ألبانيا والألبانيين • فهو يريد من الألباني أن يستلهم كربلاء لمصلحة وطنـه وقوميته ، « ليموت في سبيل وطنه كما مات المختار في سبيل الحسين » :

يا الله ، لأجل كربلاء ،

لأجل الحسن والحسين ،

لأجل الأئمة الاثني عشر ،

الذين عانوا ماعانوه في الحياة

لا تترك البانيا

تسقط أو تدمر،

بل لتبق خالدة

وليكن لها ماتريـد ،

ليبق الألباني بطلا كما كان

ليحب ألبانيا ،

ليمت في سبيل وطنـه

كما مات المختار في سبيل الحسين !

ومن هذه الناحية علينا أن نقيم، في نظرتنا النهائيـة ، هذه الملحمة النادرة • فالشاعر نعيم ، دون أي شك ، قد ترك تأثيراً كبيرا في نفوس الألبانيين بهذه الروح القومية ، التي عرف كيف يثير بها ذلك القارىء المتتبع بلهفة لأحداث الملحمة • فهذه الملحمة كتبت لتكون مثلاً أعلى للالبانيين ، من وجهة نظر معينة طبعاً ، وقامت بدورها إذ بقيت تتردد في المناسبات المختلفة وطبعت للمرة الأخيرة سنة ١٩٧٨ ،أي أنها ما تزال حية بهذا المعنى •

الهوامـــش

(*) نشرت هذه الدراسة لأول مرة في مجلـة ((المعرفــة)) ، عدد ٢١٣ ، دمشـق تشرين الثاني ١٩٧٩ .

(١) الطريقة البكتاشيـة تقوم في جوهرها على مثلـث وثنـي ـ مسيحي ـ اسلامي ، نتيجـة للمنطقـة التي تشكلـت فيها ، إلا انها فيما يتعلـق بالاسـلام كانت تتميز بالتشيع لآهل البيت . ومع ان هذه الطريقـة انتقلت الى البلقان منذ بدايـة الفتـح العثمانـي ، وبالتحديد مع الدراويش المرافقين للجيش الانكشـاري ، إذ انها انتشرت بشكل واسـع في المناطق الألبانية منذ نهايـة القرن الثامن عـشر وبداية القرن التاسـع ، حتى ان تيرانا أصبحـت مركز هذه الطريقة بعد ان منعـت في تركيا الكمالية في مطلع القرن العشرين (١٩٢٤) . وقد كان لهـذه الطريقة دور كبير في الحركة القوميـة الألبانية ، في النصف الثاني للقرن التاسـع عشر ، وفي الأدب الألباني حتى انـه يمكن الحديث عن ((أدب بكتاشـي)) أو ((أدب شيعي)) في إطار الأدب الألباني . للتوسـع حول هذه الطريقة انظر :

محمد موفاكو ، البكتاشية ، العربي عدد ٢٢٠ ، الكويـت آذار ١٩٧٧ ، ص ٦٤ـ٦٨

(2) xhevat kallaj;hi, Bektashizmi dhe teqja shqiptare n,Amerike New York 1964, P.20

(3) Ibid.

(٤) لا بد ان نضيف هنا ان هــذا الطبق من الحلوى لم يعد يقتصر على هــذه المناسبة بل اصبح يقدم في البيوت الالبانية في بقية أيام السنة، كما انه لم يعــد يقتصر على المتشيعين بل اصبح شــائعا لدى بقية الالبانيين ..

(٥) من شعراء النصف الاول للقرن التاســع عشر . ولد في قرية فراشر (جنوب البانيــا) حيث قضى معظم حياته في تكيــة معروفــة للطريقة البكتاشية هناك . في ١٨٤٢ أتــم اول وأطول ملحمة في تاريخ الأدب الألباني (الحديقــة) التي تتالف من ستة وخمسين الف بيــت من الشعر موزعة على عشرة فصول . ويتناول الفصل الاول فقط تاريــخ العرب قبل الاســلام ، بينما تتناول الفصول الاخرى موقعة كربلاء .

(٦) الاخ الاصغر لداليب فراشري ، من شعراء النصف الثاني للقرن التاســع عشر . انجز ملحمته ((مختار نامــة)) التي هي الملحمة الثانية في تاريخ الأدب الألباني ، سنة ١٨٦٨ وهي تتالف من اثني عشر الف بيت من الشعر .

(٧) نعيم فراشري (١٨٤٦ ــ ١٩٠٠) من اكبر الشعراء في الأدب الالباني . ولد في فراشر ونشــا فيها ، حيث تعلم الفارسيــة والعربية في التكية البكتاشية هناك . نشر أول ابداعاته في الفارسية ، ثــم تخلى عن ذلك ــ تحت تأثير الأحداث الحاسمة في المناطق الألبانية ــ ليتوجه

بكليته للمشاركة في حركة النهضة القومية الألبانية . مارس تأثيرا كبيرا على جيله وعلى الجيل اللاحق ايضا . من أشهر مؤلفاته الشعرية ((ازهار الصيف)) (١٨٩٠) ، ((الدروس)) و ((الكلمـــة الطائـرة)) (١٨٩٤) ((تاريخ اسكندر بك)) (١٨٩٨) الخ.

(٨) لقد صدرت الطبعـة الأولى من هـذه الملحمة في بوخارسـت (رومانيا) ، بينما لم تصدر الطبعـة الثانية ـ لاعتبارات خاصـة في يوغسلافيا والبانيا ـ إلا بعد ثمانين سنة (١٨٧٨) في بريشتينا يوغسلافيا وهي الطبعة التي استفدنا منهـا .



أروى العربية وأروى الألبانية

بين الأدبين العربي والألباني صلات تقــدم أرضية غنية للادب المقارن ، إلا أن هذه الأرضية بقيــت خارج آيــة دراسة شاملة ، باستثناء بعض الاشارات هنا وهناك (١) • ومن ذلك سنتناول في هذه المناسبة نموذجاً واحداً فقط للصلات التي تجمع بين الأدبين العربي والألباني • ويدور هذا النموذج حول شخصيــة « أروى » ، وبالتحديد حضورها في الأدبين العربي والألباني ، أو لنقل انتقالها من الأدب العربي الى الأدب الألباني •

وفيما يتعلق بالأدب العربي نرى « أروى » في أحدى قصص «ألف ليلة وليلة » (٢) ، وهي تدور حول امرأة كتب عليها أن تعاني كثيراً في سبيل حب زوجها • فقــد تركها زوجها القاضي امانة لدى أخيه الى أن يعود من سفرة له ، إلا أن هذا الأخ سرعان مايحاول أن يغريها بحبه في غياب أخيه • ولكن ، حين يواجه برفضها العنيف ، يستدعي شهود زور ليشهدوا عليها بالزنا ، ولتنال عقوبــة الرجم جزاء لها • وفعلاً تنفذ العقوبــة ، إلا أن رجلاً صالحاً يمر بقرب الحفرة التي رجمت فيها وينتشلها في أنفاسها الأخيرة ، حيث يأخذها الى البيت ويعتني بها الى أن تشــفى • وهناك تعتني هي بابن هذا الرجل لفترة ما ، الى أن يراها أحد « الشطار » ويطمع فيها • ولكن حين ترفضه

يقدم على اغتيالها ، إلا أنه يصيب ابن صاحب البيت . وهكذا تلاحقها المشاكل دائماً . وإزاء هذا ، تهرب من البيت ، وفي الطريق ترى جمعاً يوشك أن يصلب رجلاً ، فتنقذه بما معها من دراهم . وهذا يعوض عليها شيئاً مما فات ، فينذر نفسه أن يخدمها ويبني لها صومعة . وفي هذه الصومعة تكتسب القدرة على شفاء المرضى المصابين . ويحدث أن يصاب بالمرض كل من أساء اليها فيقصدونها لشهرتها في المعالجة . ولدى قدومهم تتعرف عليهم وتشترط عليهم أن يقصوا على مسمع الجميع ، ومن بينهم زوجها ، ماقاموا به من اساءات . وفعلاً يروي كل واحد ماقام به ، فتعفو عنهم في النهاية وتعيش سعيدة مع زوجها (٣) .

وكما نرى ، فإن هذه القصة تقدم مادة غنية يكمن استلهامها ، عن التضحية التي تصل الى ذروتها لدى « أروى » في سبيل حبها لزوجها . وفي حدود ما نعرف فان الأديبة السورية ودا دسكاكيني كانت أول من استفادت من هذه المادة في الأدب العربي الحديث حيث اعتمدت عليها كقاعدة لروايتها « أروى بنت الخطوب » التي صدرت في القاهرة سنة ١٩٥٨ (٤) . وما يثير في هذه الرواية أن المؤلفة تلح أكثر على الاطار العربي للرواية منذ الصفحة الأولى . فهي تحدد اطاراً زمنياً للرواية « في دمشق منذ ألف عام » . وهي تفتتح الرواية بالنعمان « زوج أروى » ، الذي يعمل بالتجارة بين الشام والعراق . فهذا مع ثروته الطائلة ، تتوق نفسه الى صفقة لؤلؤ فيترك زوجته أمانة عند أخيه . وهنا يتكرر ماشاهدناه سابقاً في القصة وينتهي الأمر بالمرأة للرجم . وهنا تبرز المؤلفة حمدون « أحد سادات تدمر » في قافلة سائرة من دمشق الى تدمر حيث ينقذها . وعوضاً عن أحد

« الشطار » تترك المؤلفة الدور لعبد من عبيد حمدون كي يحاول معها ، ومع فشله يحاول الانتقام منها باتهامها بالسرقة .

ومع اكتشاف السرقة تهرب « أروى » فتنقذ في طريقها الرجل الذي كان يوشك أن ينفذ به حكم الموت ، كما في القصة السابقة . إلا أن المؤلفة تدخل هنا عنصراً دراماتيكياً ، حيث يلحق بها هذا الرجل في الصحراء ليغتصبها . ولكن، حين تتصدى له يستغل قدوم قافلة تجارية فيبيعها بألف دينار على أساس أنها جاريةله . وفي القافلة ينقذها شيخ يأخذها الى مصر ، حيث ينصحوه أن يبيعها في جزيرة كريت . وفي السفينة يتآمر عليها بعض الركاب لاغتصابها ، إلا أن عاصفة تهب وتحطم السفينة ، فتتعلق « أروى » بأحد الألواح حتى تشارف احدى الجزر . وتعين « أروى » ملكة للجزيرة ، بسبب أن سكانها كانوا قد اتفقوا على تعيين أول غريب يرد اليهم بعد موت ملكهم . وفيما عدا هذا تجري الحوادث على نحو ما انتهت عليه في القصة التي استعرضناها (٥) .

أما فيما يتعلق بالأدب الألباني ، فإن « أروى » قد استلهمت في أكثر من عمل أدبي ، فيما يشكل ابداعات لها قيمتها في هذا الأدب. ومما لا شك فيه أن الشاعر محمد تشامي « ١٧٨٤ ــ ١٨٤٤ » هو أول من استثمر هذه المادة في الأدب الألباني ، وذلك في قصته الشعرية « أروى » Erveheja التي تتألف من ٨٥٦ بيتاً ، والتي كتبها حوالي سنة ١٨٢٠ (٦) . وفيما يتعلق بهذا الشاعر ، نرى أنه من الضروري أن نذكر أنه انتقل للدراسة الى مصر ، كغيره من الألبانيين ، حيث بقي فيها عشر سنوات . وقد أتاحت له هذه الاقامة الطويلة أن يتقن العربية جيداً وأن يتعرف عن كثب على

الثقافة العربية • ومن ذلك نذكر له ترجمته المعروفة لقصيدة « البردة » [٧] • ومع ذلك يثار الشك حول مصدر ملحمته «أروى» ففي « تاريخ الأدب الألباني » ، وهو التاريخ الرسمي الذي يؤخذ به عادة ، يذكر أن الشاعر قد استمد موضوعه من كتاب تركي [٨] • ولكن نجد شيئاً أقرب الى الصحة في كتاب آخر ، « من الأدب الألباني» ، الذي يذكر صراحة بأنه قد استمد موضوعه من كتاب عربي [٩] • وكنا قد أشرنا في مقال سابق عن مصدر هذا الموضوع في كتاب « ألف ليلة وليلة » [١٠] وعن تأكيد المصدر العربي لملحمة الشاعر محمد تشامي • وفي هذا كنا قد اعتمدنا على تأكيد الباحث المعروف حسن كلشي بأن الشاعر قد اطلع على « ألف ليلة وليلة » خلال اقامته الطويلة في مصر [١١] •

ومن المثير أن هذه القصة الشعرية قدر لها أن تنتشر في أوساط الألبانيين مع أنها لم تطبع بنصها الأصلي الذي كتبه محمد تشامي• فقد نسخت القصة الأصلية أكثر من مرة ،وكان ممن نسخوها الملاهودو العسكري Mull- H. Asqeriu • وشاءت الظروف أن تقع هذه النسخة بيد الكاتب الألباني المعروف ياني فرتو jani varito « ١٨٢٢ ــ ١٩٠٠ » فأعاد كتابتها بالحروف اللاتينية • بعد أن كانت مكتوبة بالحروف العربية ؛ وطبعها للمرة الأولى سنة ١٨٨٨ • إلا أن فرتو أجرى عليها تعديلات كثيرة بتصفيتها من الكلمات العربية والتركية ، بحيث نجح في نواحٍ معينة وأخفق في نواحٍ أخرى [١٢] • ومن المثير أن النسخة الأصلية لمخطوطة تشامي بقيت مجهولة حتى الخمسينات ، وهي اليوم محفوظة في المكتبة القومية في تيرانا [١٣] •

أما من حيث موضوع هذه القصة الشعرية فهو قريب جداً

من الخط الذي سارت عليه الحوادث في رواية وداد سكاكيني ،ولكن باطار أقرب للالبانيين . فهنا نجـد أيضاً سفر الزوج ومحاولة أخيه استغلال غيابـه ، ورجم « أروى » وانقاذها ، وانقاذها هي للرجل من حبل المشنقة واساءة هـذا الرجل اليها . وفي ملحمة تشامي نجد أن هذا الرجل يبيعها الى صاحب مركب ، حيث أن العملية تتم قرب شاطيء البحر عوضاً عن الصحراء . وفيما عدا هذا تأخذ بقية الحوادث مجراها كما في رواية « أروى بنت الخطوب » لسكاكيني [١٤] . وهذا التشابه ، إن لم نقل التطابق ، بين قصـة تشامي ورواية سكاكيني يدلُ على ان مصدر العملين واحـد .

ولقد ذاعت وانتشرت شخصية « أروى » ، أو لنقل قصة « أروى» بشكل واسـع بين الألبانيين ، سواء بواسطة النسخ التي نسخت من الملحمة الأصلية أو بواسطة النسخة المطبوعة فيما بعـد . ولم يقتصر انتشار هذه القصـة على أوساط القراء والمثقفين ، بل في الأوساط الشعبية أيضاً ، حيث انها أصبحت جزءاً من الأدب الشعبي الألباني . وقد عثرنا نتيجة أبحاثنا على نموذجين أو عرضين لهـذه القصة فيما تم طباعته من القصص الشعبيـة الألبانية . فالقصة الأولى تحمل عنوان « عهـد عقد الزواج » التي نشرت أولاً في كتاب د . كورتي D. kurti « حكايات قوميـة » ومن ثم مجموعـة « الفولكلور الألباني ــ النثر الشعبي » في تيرانا سنة ١٩٦٦ [١٥] . والقصة الثانية التي وجدناها هي « زوجة الحـاج » التي سجلها خليل كايتازي H. kajtazi ونشرها في كتابه « النثر الشعبـي لدرنيتسا » [١٦] . وما هو واضح من الكتاب الثاني ، فإن هذه القصة ما زالت تروى وهي بالتالي ما زالت حية في الأوساط الشعبية .

وفي هذه النماذج الشعبية لقصة « أروى » نجد بعض التعديلات البسيطة ، الشيء الذي يبدو طبيعياً في الأدب الشعبي ، حيث تدل كل قصة عن الوسط الذي تروى فيه • ففي القصة الأولى ، « عهد عقد الزواج « ١٦» نجد أن الزوج يضطر الى فراق زوجته بسبب البحث عن العمل ، أو بسبب الاغتراب Gurbeti كما يقول الألبانيون ، الشيء الذي كان شائعاً بين الألبانيين في القرن التاسع عشر وأوائل هذا القرن • أما في القصة الثانية ، « زوجة الحاج » ، فنجد أن الزوج يضطر الى فراق زوجته بسبب ذهابه الى الكعبة لأداء فريضة الحج• وفيما عدا بعض « الرتوش » لا نجد في هاتين القصتين تغييرات في مجرى الحوادث كما رأيناها سابقاً •

إلا أن « أروى » لم تبق حية في الأدب الشعبي فقط ، بل دخلت أيضاً في الأدب الألباني المعاصر ، حيث تحولت الى مسرحية باتت معروفة على نطاق واسع لدى الألبانيين • وقد كتبت هذه المسرحية التي تحمل اسم « أروى » Erveheja الكاتب أحمد تشيريزي « ١٩٣٥ » في الستينات ، وعرضت لأول مرة في مسرح برشتنا ، عاصمة اقليم كوسوفا ، في سنة ١٩٦٧ • وقد اكتسبت هذه المسرحية شهرة واسعة على النطاق الاقليمي واليوغسلافي وفازت بعدة جوائز • ففي « ملتقى المسارح المحترفة » لجمهورية صربيا ، الذي انعقد في مدينة نيش ، فازت بالمركز الأول كما فازت بخمس جوائزدفعة واحدة • كما أنها فازت بالجائزة الأولى للاخراج في « مهرجان المسرحيات اليوغسلافية » الذي انعقد في مدينة نوفي ساد [١٧] ويكفي أن نذكر أن هذه المسرحية عرضت حتى الآن أكثر من مئتي مرة في كوسوفا وفي يوغسلافيا . كما أنها عرضت أيضاً في ألبانيا سنة ١٩٧١

ومن المثير أن هذه المسرحية لم تطبع ، على الرغم من كل هذا النجاح إلا في سنة ١٩٧٨ [١٨] .

أما من حيث موضوع المسرحية ، فقد اعتمد الكاتب تشيريزي على ملحمة « أروى » للشاعر تشامي ليكتب مسرحية عصرية . إلا أن هذا التعصير لم يمس مجرى الحوادث ،التي جاءت هنا مختلفة سواء في الأصل أو في بقية النماذج . ففي الأصل ، كما في بقية النماذج تنتهي معاناة « أروى » بعوهاف عمن اساؤوا اليها وبعودتها ثانية الى زوجها لتقضي معه بقية حياتها في سعادة . أما في مسرحية تشيريزي ، فنحن نرى هذا ايضاً ولكن نفاجأ بأن هذه النهاية ليست إلا مجرد حلم تستغرق فيه « أروى » لتستفيق فيما بعد على ضوضاء نعيم في هذا الفصل حول من تبقى من الجماعة ، على تلك الحالة الذين يلاحقونها منذ البداية . وفي هذه المرة لا تسلم « أروى » بل تقتل بعنف من أولئك الذين لهم مصلحة واحدة في تصفيتها : لأن في وجودها فضيحة دائمة لهم . وهذه النهاية المفجعة يسقطها الكاتب أيضاً على زوجها ، ولهذا يبقى حبهما حلماً ويتحولان الى رمز للحب وسط محيط من الحقد والكراهية .

نماذج من أروى الألبانية

لقد ارتأينا ، بعد هذا العرض ، أن نقدم بعض النماذج عن «أروى» في الأدب الألباني ، سواء من الأدب الفني أو من الأدب الشعبي . وسنراعي هنا التسلسل التاريخي لحضور « أروى » في الأدب الألباني » ، كما مر معنا سابقاً . أي اننا سنبدأ من القصة الشعرية

« أروى » للشاعر محمد تشامي ، التي تعود الى عام ١٨٢٠ ، على اعتبارها ملهمة للابداعات الأخرى .

١ ـ ((أروى))

مقاطع من القصة الشعرية
لـ محمد تشامي

اروى كانت امرأة

ليس لها مثيل في تلك الايام ،

وحين تزوجت فتاة تشبه القمر .

واضطر زوجها على عادته

أن يسافر الى بلاد الغربة ،

فأرسل وراءاخيهواخبره

ليترك له زوجته امانة في عنقه .

اخذ طريقه وراح

وســـارت أموره على مايرام ،

فما كانتلديه شبهة

بتركه لأروى لدى اخيه

اما اخـــوه

لقد عاد ليؤدي امانته ،

خلع جانبا طربوشه

وجاء عنـد أروى ،

قال لها دون تمهيد :

((أروى ياحياتي))

((أنا ذلك البائس))

الذي يفكر فيك ليل نهار)) .

((احبيني وارحميني !!

((ارحمي هـذا البائس))

((لا تدعينـي في هذه الدوامـة))

((لنلتق مرة فقط)) !

حين سمعت أروى

هذه الكلمات من سلفها ،

التفتت فورا اليه

ورمقته بنظر ةحادة

قالت له ((كيف تطلب هذا ؟

((وكيف تبرر في نفسك هذا ؟

((وكيف لا تتذكر اخاك بهذا ؟

((اتريد ان تخون عهده بهذا ؟))

٢ ـ ((زوجة الحاج))
قصة من الادب الشعبي

في قديم الزمان ، ذهب أحد الحجاج الى الكعبة وترك زوجتــه أمانة لدى أخيه • وحاول هذا الأخ أن يغتصبها بالقوة ، إلا أنــه ما استطاع • وكرر محاولته ، إلا انها رفضت وأصرت على رفضهـــا •

حينئذ ذهب الى القاضي وقال له : لقد ترك أخي زوجتــه أمانة في عنقي ، وفيما لو ضبطتها تمارس العمل الشنيع ، ماذا تقول لأفعل بهـــا ؟

قال القاضي : ــ إذهب الى أحد مفارق الطرق واحفر هناك حفرة، وخذ المرأة وضعها هناك ، وخذ معك أيضاً عربة مملوءة بالحجارة وارجمها كما تريد • ومن يمر من هناك ليرجمها أيضاً بالحجارة •

أخذ هذا الحجار وحفر حفرة هناك ، ورجم المرأة الى أن غابت عن الوعي • في ذلك الوقت ، مر أحد البكوات على حصانه من هناك، وحين رأى الحصان المرأة أخذ يصهل ، ولما رأى هذا المرأة سألها : من أنت ؟

قالت : ــ أنا امرأة ، القوني في هذه الحفرة ورجموني بالحجــارة بما استطاعوا ، ومع هذا بقيت حيــة •

اقترب البيك وأخذ المرأة ، وضعها على حصانه واصطحبها الى بيته • واستردت المرأة صحتها بعد عدة أيام ، وأخذت تعمل في خدمة

البيك • وقد كان لهذا البيك اجير يعمل عنده • فحاول أن يغتصبها بالقوة ، لكنه ما استطاع ، كما حاول أن يتزوجها بالقوة . ولكن ما استطاع أيضاً • وكان لذلك البيك طفل صغير • وفي إحدى الليالي قام ذلك الأجير وطعن الطفل حتى أرداه قتيلاً • وبعد هذا أخذ السكين ، وهي تقطر دماً ، ووضعها تحت رأس تلك المرأة • وحين استيقظ البك رأت زوجته ولدها ميتاً . ولاحظ البك أن شخصاً ما قد ذبح طفله • وحين لاحق قطرات الدم وجد لدى تلك المرأة السكين الملطخة بالدم • فقال البيك :

طالما حدث هذا ، سأعطيك مئة ليرة لأنك خدمتني ، واذهبي حيث تريدين • وأخذت هذه المئة ليرة وذهبت الى مدينة بعيدة • وحين وصلت الى تلك المدينة ، كان الناس هناك قد ألقوا القبض على أحد اللصوص وأرادوا أن يشنقوه •

وسمعت من يقول منهم : ــ اذا أعطانا شخص ما مئة ليرة سنطلق سراحك •

وحين سمعت هذه المرأة هذا آهات كثيرا ، فاقتربت وأعطتهم مئة ليرة ، فأطلقوا سراحه فورا •

حينئذ قال هذا : ــ من دفع هذه المئة في سبيلي ؟

قالوا له : ــ امرأة •

فأسرع خلفها الى أن بلغها ، وقال : ــ هل أعطيت أنت تلك المئة في سبيلي ؟

أجابت المرأة : ــ نعم

حينئذ ، أخذ يحاول أن يأخذ المرأ ةبالقوة • وفيما هي تحاول دفعه والهرب منه وصلت الى قرب البحر حيث ترسو القوارب • وهناك رسى أحد القوارب ونزل منه أحد الباشوات •

فسأل : ما بكما ؟

فأجابه ذلك الرجل : ــ هذه امرأتي ولا تريد ان تبقى معي •

حينئذ سأل الباشا تلك المرأة : ــ هل يربطك شيء بهذا الرجل ؛

أجابت المرأة : لا يربطني شيء به وما شاهدتــه أبدا ، فهو يحاول أن يأخذني بالقوة •

حينئذ قال الباشا : اذهب من هنا يا أسود الوجه ! وحتى لو كانت هذه امرأتك فهي لاتريدك الآن • اذهب وسأقطع رأســك اذا سمعت كلمة منــك !

وبعد ذلك صعدت المرأة الى المركب ونزلت في الناحية الثانية من البحر ، حيث تعلمت صنعــة جيدة ، ان تشفي العميان والمصابين من ذوي العاهات • وبعد هذا عادت الى تلك الناحيــة من البحر ، حيث سمع هناك الحاج والبك واللص ، الذين كانوا قد اصيبوا بالعمى ، فقرروا الذهاب إليها • وحين جاءها الحاج سألته تلك المرأة النبيلة : ــ ماذا تريد ؟

فأجابها الحاج : عندي اخ أصابته عاهة ،وقد سمعت أنك تشفين المصابين بالعاهات •

فقالت المرأة : ــ اذا لم تخبرني بكل مافعلته من السيئات تجء الآخرين لا أستطيع أن أشفيك .

فأخبرها الأخ بما فعله بزوجة أخيه التي كانت أمانة في عنقه .

فشفته المرأة بعد أن اعترف لها بالحقيقة . وكذلك فعلت بالأجير وباللص ، اللذان اعترفا أيضاً بما قاما به فشفتهما (١٩) .

وقالت : ــ لقد أسأتم إلي بكل هذه الأفعال السيئة !

ومن ثم قالت المرأة للحاج : ــ هل تعرف امرأتك اذا شاهدتها ؟

فقال : ــ انها تشبهك قليلاً .

فقالت المرأة : ــ أنا بعينها ، وقد عانيت من كل هذه الأفعال التي رواها هؤلاء .

فعاد الحاج وأخذ زوجته (٢٠) .

٣ ــ ((عهد عقد الزواج))
قصة من الادب الشعبي

كان هناك اخوان يعيشان وحدهما في البيت ، كانا يعدان الأكل ويغسلان وحدهما . وفي أحد الأيام قال الكبير للصغير : ــ لماذا لا تتزوج لكي لا نعاني هكذا في حياتنا ؟

وفعلا تزوج الكبير ، تزوج امرأة ليـس لها مثيل ، امرأة صالحة وشريفـة •

وبعد سنتين مرت ظروف سيئة للغاية •

فدعا الكبير زوجته وقال لها : ـ يا امرأة ، أريد أن أغترب لاكسب شيئاً ، فهل تنتظريني ؟

ـ وكيف لا أنتظرك يازوجي ، أجابته المرأة ، اذهب واتمنى لك التوفيـق ، فأنا سأبقى وفيـة لك ولن أقترن بأحد •

ـ هل أنت مدركـة لما تقولين ؟

ـ نعـم •

ـ فدعا أخاه الصغير وقال له : ـ سأذهب الى بلاد الغربـة وسأترك لك زوجتي أمانة ، كي ترعاها ولا تتركها في حاجة •

ـ في أمانة الله ، أجابه الأخ ، سأرعى زوجتك أحسن مما أرعى أختي • اذهب ، رافقتك السلامة !

وذهب الأخ واختفت أخباره • وفي أحد الأيـام قال الأخ الصغير في نفسه : ـ كيف اجعل هذه المرأة التي عندي في البيت زوجـة لي ، طالما أن أخي قد اختفى في الغربة ؟

واقتنع أن يأخذها وقال لها : ـ يا امرأة ، لنتزوج معاً ، أناوأنت•

ـ كيف تتزوج ، أجابته المرأة ، وأنـت سلفي ! لا ، لا يمكن أن يمس جسدي أحد قبل أن يعود زوجي أوقبل أن أسمع بموتـه •

فحاول مرارا الأخ الصغير ، الا أن المرأة رفضت باصرار .

في ذلك البلد كانت العادة تقضي بدفن المرأة حيه في التراب اذا ضبطت بالفعل الشنيع .

فقام الأخ الصغير من غيظه لرفض المرأة . فاشاع انه ضبطها تمارس الفعل الشنيع ، فأخذوها ودفنوها حية .

ولكن في ذلك الطريق صادف مرور سيد على حصانه ، بالقرب من قبر تلك المرأة الشريفة . نسمع أنينها .

ـ هه ! لقد دفنوا احد الناس حياً هنا ، لماذا لا أنقذه لأجل الثواب؟!

وأمر هذا أجيره أن يفتح القبر وأن يخرج المرأة الحية .

ـ لماذا أخرجتني ؟ سألته المرأة .

ـ لأجل الثواب فقط أجابها الرجل . ولكن لماذا وضعوك هنا ؟

فقصت المرأة ما جرى لها مع زوجها وأخيه .

فتألم السيد وقال لها : ـ هل تأتين للخدمة عندي ؟

ـ ومن عندك في البيت ؟ ـ سألته المرأة .

ـ عندي زوجة وطفل وأجير .

وذهبت معه الى البيت ، وهناك أخذت تقوم بعملها باهتمام ، مما

جعل الجميع يعطفون عليها ، وحتى أن الطفل كان يحبها كأمه وكان ينام معها في كثير من الأحيان .

إلا أن الأجير وضع عينه عليها ؛ وحاول عدة مرات أن يقنعها بالزواج منه . ولكنها رفضت ومن غيظه : قام الأجير في إحدى الليالي فقتل الطفل وهو على صدرها ، لكي يلقي السيد القبض عليها ويدفنها حية . إلا ان زوجة السيد قالت له : هذه لم تقتل الطفل ، بل الأجير!

فطرد السيد الأجير ، وأعطى المرأة ثلاثين ليرة . فأخذتها وذهبت . وفي الطريق ، شاهدت جمعاً من الناس عصبوا عيني شخص لاحراقه، فسألتهم : لماذا تريدون احراقه ؟

فأجابوها : ـ . عليه دين ثلاثون ليرة ولا يستطيع سدادها .

قالت المرأة : هاكم ثلاثين ليرة واتركوه .

أعطتهم النقود وذهبت في سبيلها ، ففكوا العصابة عن عيني الرجل وأطلقوه .

سأل الرجل : لماذا لا تحرقوني ؟

ــ لقد دفع أحدهم ثلاثين ليرة لأجلك .

ــ ومن دفعها ؟

ــ امرأة مرت من هنا .

ــ وأين اتجهت ؟

ـ في هذا السبيـل •

فذهب الرجل وراءها الى أن لحقها •

ـ هل أنت التي دفعت ثلاثين ليرة لانقاذي من الحرق !

ـ نعـــم •

ـ ولم أنقذتني ؟

ـ للثواب فقط ، ولأن أحدهم أنقذني من •

ـ لنتزوج معاً !

ـ لا ، لايمكن • زوجي في الغربـة ولا يمكن أن يمس رجل غريب جســدي قبل أن يعود زوجي أو قبل ان أسمع بموتـه •

يمكن ! لا يمكن ! وأخذ الرجل يلح عليها • الا أن المرأة رفضت باصرار • ومن غيظه أخذها وباعهـا بثمانيـن ليـرة لصاحب أحـد المراكب ••

أخذها صاحب المركب وأبحر بها ،الا أن عاصفـة عنيفة هبت وأطاحت بالمركب ومن عليه ، ماعدا المرأة التي وصلت سليمة الى الناحية الأخرى •

ـ الآن ، قالت المرأة ، سأغير ملابســي لأن الناس لا يتركوني في أمـان •

فغيرت ملابسها ولبست ملابس رجل مجري ، وبعد فترة وصلت الى مدينة كبيرة ، اكان ملكها مصاباً بالعسى • وكان هـذا الملك قد جرب الكثير من الأدوية والأطباء ، الا أنهم عجزوا عن شفائه •

وحين شاهد رجال الملك ذلك المجري سألوه : ـ هل تعرف أن تشفي ملكنا ؟

ـ نعم ، يمكنني أن أشفي الملك •

فأخذها رجال الملك ، وفعلا تمكنت من شفائه حيث استرد بصره كما كان سابقاً •

ـ ماذا تريد الآن ؟، سأل الملك ذلك المجري، هل تريد أموالا ؟ هل تريد قصوراً ؟ هل تريد زعامة الجيش ؟ ماذا تريد ؟

ـ لا أريد شيئاً ، أجابـه المجري ، أريد فقط غرفة مغلقة لأجلس فيها وحيداً وتعطوني ما أكل وما أشرب •

فخصص له الملك غرفة وأعطاه ما يأكل وما يشرب ثلاث سنوات • وكان يعود اليه للمشورة في كل ضائقة تمر به ، فكانت أموره تسير على ما يرام حين كان يأخذ بنصائح المجري •

وبعد ثلاث سنوات أحس الملك باقتراب أجله ، فدعا المجري وقال له : عليك أن تجلس على العرش من بعدي ، لأنك شفيتني وأرشدتني ولا يمكن أن أجد رجلا أحسن منك لحكم هذا الشعب •

وبعد موت الملك تسلم المجري الحكم ، وحكم الشعب بحكمة ، حتى ذاع صيته في أطراف العالم بكونـه يشفي العميان •

وفي أحد الأيام جاء الى القصر زوجها مع أخيه ، الذي أصيب بالعمى بعد أن دفنها حية ، كما جاء السيد مع أجيره الذي عمي أيضاً بعد أن قتل ولده ، وجاء أيضاً ذلك الرجل الذي كانوا موشكين على احراقه ، والذي أصيب أيضاً بالعمى بعد ان باع المرأة لصاحب المركب. ولم يتعرف أحد من هؤلاء على المجري .

ـ ماذا تريدون مني ؟ ، سألهم الملك .

ـ نريد أن تشفي عيوننا .

ـ لا أستطيع أن أشفيكم الا اذا أخبرني كلّ واحد عن ذنبه .

وجمع الملك شعب مملكته وقال لهم : أنا أعرف ماذا فعل كل واحد من هؤلاء حتى أصيب بالعمى ، ولكن أريد أن تسمعوا الى ذنوب هؤلاء من أفواههم .

فاعترف كل واحد منهم بذنوبه التي اقترفها تجاه المرأة [٢١] .

حينئذ توجهت الى الشعب قائلة : ــ الآن سأشفيهم بعد أن اعترفوا بذنوبهم ...

فلمست عيون هؤلاء الثلاثة فشفوا . بعد ذلك دعت زوجها جانباً وسألته : ــ هل تريد أن تتزوج ثانية ؟

ــ لا ، طالما كان لدي امرأة صالحة وشريفة ، تلك التي دفنوها حية . لقد صدأ قلبي ولن أتزوج بعدها .

وحين رأت الملكة وفاء زوجها عرفته على نفسهـا ، ومن ثم جعلته ملكاً وبقيت هي ملكة وحكما الشعب بحكمة وعدالـة لسنوات طويلة (٢٢) .

((أروى))

المشهد الاول من مسرحية

أحمد تشيريزي

(مع افتتاح الستارة نرى أروى مع زوجها ، احدهما مقابل الآخر الزوج جالس على أن أروى واقفـة على قدميها . في هذه اللحظة يدخل أخو الزوج) .

الأخ : لماذا دعوتني يا أخي ؟ ها قد جئت .

الزوج : حسناً فعلت يا أخي ، شكراً لك .

الأخ : لا تشكرني ، بل أخبرني بسرعـة فلدي وقت اكثير ، لدي أعمال هامة تنتظرني .

الزوج : لا تنفعـل يا أخي ، تذكر ما أسديت لك من خدمات .

الأخ : هل تريد أن تتكلم أو أذهب ؟

الزوج : علي أن أذهب الى بلاد الغربـة يا أخي .

الأخ : الى بلاد الغربة !!

الزوج : نعم يا أخي ، الى بلاد الغربـة • ولذلك دعوتك لأخبرك أين تجدني فيما لو حدث شيء ما •

الأخ : آه يا أخي !

الزوج : علي حين أن البيت سأتركه دون رجل،ولو لم تكن أنت••

الأخ : نعــــم ••

الزوج حيث أنني أثق بك ، لكان القدر أقسى لي والفراق أصعب بكثير •

الأخ : آه يا أخي العزيز •••

الزوج اسمع يا أخي ، سأترك لك عبئاً ثقيــلا ، كحجر الطاحون، حيث أنني سأسافر الى الغربة •••

الأخ : تفضل يا أخي ، فكلي اذان صاغيــة ، تكلم وثق بي•••

الزوج : سأترك بيتي وزوجتي أمانة في عنقك •

الأخ : آه ••••

الزوج : حيث أن الأمور أرادت هكذا •

الأخ : يا أخي ، يمكنك أن تذهب الى نهايــة العالم ، فأنا سأرعى آروى كما سأرعى حياتي ، كما أرعى •••

الزوج : يا أخي هذه المرأة بحاجـة الى المساعدة والحماية :حيث لا يجب أن يفكر المحيط بأنها وحيدة ، كما لا يجب أن تكون في أفواه الناس • اعتن بهـا كي لا يمسها أحد بشر ، وكن قريباً منها في الليل والنهار • لا تتركها في ضائقـة ، فأخو الزوج كالزوج ، كما يقولون ، وكما هو حقيقة •

الأخ : نعم ، هكذا حقيقة ••

الزوج: اذن سأترك لك أروى أمانة في عنقك •

الأخ : رافقتك السلامة !

الزوج : انتظر قليلا ، لأودع أروى ، وبعد ذلك ودعني وتمن لي التوفيـق • « باكياً » ياعزيزتي أروى ، هل تتمنين لي سفراً موفقاً ؟

الأخ « بصوت خافت » : تحرك يا أخي ، لا تحرج نفسك وتحرجها لا يجب أن تبكي في سبيل امرأة !

الزوج : « لأروى التي تبكي » : أروى ، لا تبكي ! سأتركك أمانة في عنق أخي • أروى ، يا جميلتي الوفيـة !

أروى « بعد أن أمسكت نفسها عن البكاء » : اذهب يا زوجي حيث يريد لك القدر • سأبقى وفية لك حيث تتراكني ، وحتى لو تركتني فوق حجر جاف !

الزوج : أروى !

أروى : وداعاً ! أتمنى لك سفراً موفقاً وعودة بالسلامـة .

الزوج : ! « يغادر مصحوباً بالضوء . ومـع شحوب الضوء يبقى صوته مسموعاً وداعاً ... وداعاً .. أروى .. أروى ..

أروى : « ملتفة الى الجهة التي غادر منها الزواج » وداعاً ...وداعاً

« الأخ يجامل أروى ببعض الكلمات على حين أنـه ينظر اليها نظرة ذات مغزى »

الأخ : دعي الحزن ، فالحزن يسيء الى جمالك ... تعالي ....

أروى : اذهب ، أريد أن أبقى وحـدي.

الأخ : لا تستطيعي بحزنك أن تفعلي شيئاً ، سوى أن تدفعي نفسك الى المرض .

أروى : اتركني ، لدي رغبة في البكاء .

الأخ : لا ، لن أتركك ! لقد وعدت أخي برعايتك!

أروى : أرجوك يا سلفي ...

الأخ : لا ترجوني .. علي أن أعتني بحياتك ، بأكلك ولباسك ، وفيما لو مرضت ماذا سيقول أخي حين سيعود ،هذا ان عاد يوماً ما !

أروى : سيعود ، حتى بعد وفاته .

الأخ ــ طبعاً . على كل حال، أنا مكلف بالاهتمام بك .. تعالي الآن ...

أروى : اتركني لأبقى وحــدي الى الغد .

الأخ : لن تبقي وحدك !

أروى « بعــزم » : أرجوك يا سلفي ! « تخرج وهي تغطي وجهها بيديها كأنها تتنبأ بسوء سيحدث لها » .

الأخ : « بعــد خروج أروى » : ولماذا لا يا أروى الجميلة . هذا الطريق أفضل ، قد يكون أطولَ ولكنه يوصل بالتأكيد . الآن لدي وقت . لقد تركك بين يدي .

« الضــوء يختفي تدريجياً »[23]

الهوامــــش

(*) نشرت للمرة الأولى في مجلة ((المعرفــة)) عدد ٢١٨ ، دمشق نيسان ١٩٨٠ .

(١) راجع من ذلك ((مؤثرات عربية في القصص الشعبية الألبانية)) التي نشرناه في المعرفة عدد ــ ١٩١ ــ ١٩٢ عام ١٩٧٨ .

(٢) استفدنا في هذه الدراسة من الطبعــة المصرية لـ ((الف ليلة وليلــة)) التي اخرجها رشــدي صالح القاهرة ــ ١٩٦٩ .

(٣) تمتد هذه القصة على صفحتين من الحجـم الكبير . المصدر السابق ص ٧٢٨ — ٧٣٠ .

(٤) وداد سكاكيني ، أروى بنت الخطوب ، القاهرة ، دار الفكـر العربي ١٩٤٨ .

(٥) هنا اكتفينا فقط بتناول الموضوع ، دون الخوض في الأمور الأخرى ، التي يمكن للقارىء أن يستفيـد منها في دراسة د . حسام الخطيب في ((المعرفة)) أيضاً عام ١٩٧٧

(6) Historia e Ietersise shqipe, prishtine 1975, f . 216

(7) Dr. Hasan kaliesh, Ndikimet orientale ne tregimet popullore shqiptare, Buletini i Muzeut te kosoves xi (1971 - 1972) f . 26

(8) Historia e letersise ..... f. 216

(9) Nga letersija shqipe, Prishiine 1951 f . 96

(10) M.Mufaku, ((Erveheja ne perrallat popullore)) , Rilindja 6 . 1 . 1979

(11) H. Kaleshi, Ndikimet orientale .... f . 26

(12) Historia e letersise .... f . 219

(13) Dhimiter S. Shuteriqi, Shkrimet shqipe ne vitet 1332-1850, Prishtine 1978 , f . 218

(١٤) رواية سكاكيني امتدت ١٣٠ صفحة من القطع الصغير .

(15) Foloklore shqiptar - proza popullore II , Tirane 1966 f . 407

(16) Halil Kajtazi, proza popullore e Drenices II, Prishtine 1972, f . 33

(17) Vehap Shita , kur ndizen dritat, prishtine 1977 , f. 27

(18) Jehona, Shkup, 1 - 1978 , f . 109 - 153

19) Dhimiter S. Shuteriqi, Antologjia e letersise shqipe, prishtine 1972 , f . 56 - 58

(٢٠) هنا حذفنا تكرارا لا لزوم له ، حيث يعيد كل واحد بالتفصيل ما جرى معه .

(21) H. Kajtazi, proza popullor ...... f . 33-35

(٢٢) أيضا حذفنا هنا تكرارا لما جاء في اعترافات هؤلاء .

(23) Foloklori shqiptar - proza popullore ......, f. 407- 411

(42) Jehona , f . 110 - 112

★ ★ ★

الثورة الجزائرية في الشعر الألباني

من المعروف ومن المتعارف عليه أن الثورة الجزائرية ، وبما كانت تمثله سواء للجزائر أو للبلدان المجاورة والبعيدة ، قد ألهبت خيال كثير من الشعراء في مختلف البلدان وأثمر هذا « شعراً جزائريا » ينطق بلغات كثيرة •

وعلى هذا الأســاس فإن الأمر لا يتعلق باستثناء حين نعالج حضور الثورة الجزائرية في الشعر الألباني ، بل إن الأمر يتعلق بظاهرة أعم تشمل خريطــة واسعة • ولكن هذا لا يعني بطبيعة الحال ان حضور الثورة الجزائرية لا يختلف من بلد الى بلد ومن لغــة الى لغة ومن شعر الى شعر • ويمكن أن نقول هنا أن طبيعــة هذا الحضور يفترض أن يكون أحد المؤثرات لطبيعة العلاقات التي ربطت أو تربط مابين هذا الشعب أو ذاك مع الشعب الجزائري •

وهكذا يمكن ان نضيف هنا أن ما نجده في الشعر الألباني من قصائد عن الثورة الجزائريــة لا يعبر عن أصوات فردية ضمن مجموعة من الشعراء بل إنه يعبر عن حالــة جماعية ، وبالتحديد عن معايشة الشعب الألباني ككل للثورة الجزائرية منذ انطلاقتها وحتى انتصارها • وربما هذا لا يكفي لتفسير الحضور الجزائري في الشــعر الألباني،

ولذلك قد يكون من المفيـد أن نذكر هنا الصلات التاريخية بين الشعبين لأنها قد تساعدنا على تفهم هذا التعلق الألباني «بالموتيفات» الجزائريـة •

وفي الواقع إن الصلات الألبانية ـ الجزائرية هي أقدم وأعمق مما قد يبدو • فقـد عاش الشعبان الألباني والجزائري ضمن دولة واحدة ، الامبراطورية العثمانية ، أربعة قرون حافلة بالتداخل العرقي والنشاط التجاري والعسـكري والروابط الثقافية المشتركة •

فقد كان عروج وأخوته ، الذين حرّروا الجزائر من الاسبانيين ، من الألبانيين كما كان خير الدين وابنـه حسن باشا مـن أوائل الألبانيين الذين أصبحوا حكاماً برغبة السكان ثم باسـم السلطان العثماني [١] • وبعـد هؤلاء كان لدينـا في الجزائر خلال القـرون اللاحقـة بعض الحكام والكثير من العناصر العسـكرية الألبانية، وخاصة من البحارة الذين كانوا يشكلون القـوة الضاربة للنشاط البحري ، أي الجهاد بالمفهوم المحلي والقرصنة بالمفهوم الأوروبي [٢] • وبسبب هذا التداخل فقـد كان من الطبيعي أن ينتقل بعض الجزائريين الى الوسـط الألباني ، وأن يودي هذا الى اختلاط الدم عن طريق الزواج • ومن هـذا بقي لدينا الى اليوم أحفاد أولئك الجزائريين والجزائريات ، الذين يتميزون بملامحهم وخاصة في مدينة اولشين التي تطل على البحر الأدرياتيكي ، والتي كانت تعتبر « عاصمة القراصنة» خلال القرون المذكورة [٣] •

وبالاستناد الى هـذا فإن الجزائر لم تكن بلداً غريباً ولا بعيداً عن الألبانيين خلال القرون الماضية • ولكن الأمر اختلف بطبيعـة الحال

مع الاحتلال الفرنسي اذ تعرضت هذه الصلات الى انقطاع فرض بالعنف طيلة فترة الاحتلال • وفي هذه الفترة كان الشعب الالباني يتابع كفاح الشعب الجزائري ، وخاصة بعد أن أصبحت له دوله قومية منذ ١٩١٢ ، ولاسيما بعد اندلاع الثورة الجزائرية التي تتوجت أيضاً بتأمين الاستقلال للشعب الجزائري • وبالاستناد الى كل هذا فقد كان من الطبيعي أن تسارع البانيا الى الاعتراف فورا بالدولة الجزائرية وإقامة العلاقات المتنوعة منذ السنة الأولى للاستقلال، أي منذ ١٩٦٢ ، وان تحتفل ألبانيا هذه السنة وبشكل ملفت للنظر بذكرى مرور ربع قرن على تجدد العلاقات بين الدولتين والشعبين •

ومن هنا فإن حضور الثورة الجزائرية في الشعر الألباني لايمكن أن يعزل عن هذه الأرضية التاريخية • فالشاعر الألباني كان لا يكتب عن الثورة الجزائرية كفرد يدعو للتضامن مع شعب بل كان يعبر فيما يكتبه عن قضية تعيش دائما في الذاكرة الألبانيه ، وبالتحديد عن الأخوة الآخرين الذين يعيشون على الطرف الآخر من البحر « المتوسط » • وهنا لا بد أن نوضح أن تعبير الأخوة *Vellazer* والأخوة ، الذي يتردد في الشعر الآلباني، يأتي هنا في المعنى الأوسع ــ اي الأخوة في الدين والتقاليد والتاريخ المشترك والكفاح الواحد في سبيل الاستقلال (٤) •

وفيما يتعلق بحضور الثورة الجزائرية في الشعر الألباني يلاحظ ان أولى القصائد لدينا تعود الى سنة ١٩٥٨ • وهنا لا بد ان نوضح أولاً أن هذا البحث يفترض ان يشمل فرعي الشعر الألباني ، أي في يوغسلافيا وألبانيا ، ولذلك يحتمل أن تكون قد خرجت من أيدينا بعض القصائد خلال ١٩٥٦ ــ ١٩٥٨ نتيجة لبعض العقبات • ومن

ناحية أخرى يمكن أن تكون فترة ١٩٥٨ ـ ١٩٦٣ هي الفترة الأخصب فيما نشر عن الشعر الألباني عن الثورة الجزائرية ، أي ألا يكون قد فاتنا شـيء قبل ١٩٥٨ • وربما ليس من المصادفـة أن تتطابق هذه الفترة مع الفترة المجيدة من عمر الثورة الجزائريـة •

وفي هذه الحالة فانه من المتعارف عليه هنا أن الشـعر لايفترض فيـه أن يسجل الأحداث فوراً ، بل انه يحتاج الى فترة اختمار قبل أن يعبر عن هـذه الأحداث بطريقته الخاصة • وفي هذه الحالة فإن الفيض الشـعري قد يبدأ متأخراً ولكنه ينتهي متأخراً أيضاً ، لأن حضور الثورة في الشعر لا يمكن أن ينتهي في لحظة انتصارها • وفي الواقع ان هذا ينطبق أيضاً على الشعر الألباني حول الثورة الجزائرية، اذ أنـه بدأ سنة ١٩٥٨ ولكنه بقي مستمراً حتى سنة ١٩٦٩ •

وهكذا اذن سنعتبر هنا ان سنة ١٩٥٨ هي السنة التي بدأت تبرز فيها الثورة الجزائرية في الشعر الألباني • ففي هذه السنة نشر الشاعر صلاح الدين أحمد *Selatin Ahmet* قصيدة بعنوان «الصحراء الدامية» التي أهداها الى «المناضلـة الجزائرية الشابة» جميلة بوحريد والتي خصها ببورتريه من رسم يده •

وفي هذه القصيدة يركز هذا الشاعر على وصف التعذيب الذي كانت تتعرض له المناضلة بوحريد كرمز لتعذيب شعب بكامله • ومن هنا يبدو لنا الحوار بين رجال التعذيب وجميلة بوحريد كحوار بين شعب وجلاديه :

لقد رميتموني هنا

في الظـلام

وتريدون الآن

أن تمحوا من عيوني

المنظر الدافىء

لوطنــــي !

تقترب السكين الحادة

وهي تثير الخوف :

تكلمي !

أين رفاقك ؟

((في كل العالم ،

هنا في قلبي ؟))

تنغرس السكين

فيخرج الدم من الصدر ... (٥) .

....

وفي السنة اللاحقــة ، أي ١٩٥٩ ، نشرت في مجلــة « الحيـــاة الجديدة » قصيدة « أغنيــة الشاعر الجزائري للشاعر رجب كلمندي *Rexhep kelmendi* وفي هذه القصيدة نجد أن الشاعر كلمندي يحاول ان يتقمص مشاعر زميله الشاعر الجزائري الذي يفاجئه الموت قبل أن يكتب قصيدته التي طالما تمنى أن يكتبها لتنشد في يوم الحريــة :

يا للعجب !

هل يمكن أن أموت

وأن انشد اغنيتي؟

والأمل الأخير !

أنا الذي غنيت

الحريـــة

التي تغرق اليوم بالدم ! (٦)

وخلال سنة ١٩٦٠ نشرت مجلة « الحياة الجديدة » قصيدةجديدة بعنوان « الجزائري » للشـــاعر محـــرم شاهيتشي *Muharrem Shahiqi* وكما في القصيدة السابقة فإن الشاعـــر شاهيتشي يغوص في أعماق المشاعر الجزائرية لكي يتكلم كجزائري عما يحدث في محيطه :

طيلة النهار

اجتر الرصاص

بأسناني ،

وطيلة الليل

احمل الفولاذ

على صدري ،

ولكن لا أمل أبدا

من انتظار شرارة

كالطفل الذي لا يمل

من صدر امه . (٧)

. . . .

وفي السنة ذاتها ، أي خلال ١٩٦٠ نشرت مجلة « صوت الشباب » مقطوعات شعرية ونثريـة للشاعـر ابراهيم جوري *Ibrahim zhuri* بعنوان « مقاطع من يوميات جزائري » وهنا أيضاً نجـد محاولة أخرى للتغلغل في مشاعر ونفسيـة الانسان الجزائري ، الشيء الذي له مغزاه بطبيعة الحال . ففي المقطع الأول يتحدث الشاعر جوري بلسـان الجزائري ولكن بعواطفه أيضاً :

حين يتنصت علي الأعداء

في المكامن

اتكلم غالبا مع نفسـي ،

مع الحرب وما تخلفه الموت . . .

وهكذا تلك اشـعاري .

وفي مقطع لاحق نجد حواراً بين المقاتل الجزائري وبين الموت : « لقد كنت دائماً على إيمان عميق بالروح ، لأن فيك أيهـا الموت يلد فعـلا الانسان . . . وفي نهاية هذا « الحوار مع الموت » يختتم الشاعر جوري هذه المقاطع بالأبيات التاليـة :

وهكذا لتكن اشـعاري

الى ان تاتي لحظة الموت .

ايهـا العالم ،

هكذا هي اغنيتي السوداء ،

من الحرائق ،

في الجهات الأربع . (٨)

وفي السنة اللاحقة ، أي خلال ١٩٦١ ، نشرت مجلـة « صوت الشباب » قصيدة طويلـة للشاعر محمـد اكرفيشي *Muhamed kerveshi* بعنوان « حديث بين اثنين من مشوهي الحرب » والجديد في هـذه القصيدة ، التي تتجاوز أبياتها الستين ، هو تخيل الشاعر لحديث بين أب وابنه وجدا ذاتهما فجأة من مشوهي الحرب ، حيث أن الأب مثلاً فقـد قدمه وبقي الآن يقتله الشـعور بالعجز عـن اللحاق برفاقه للمشاركة في القتال في سبيل الحرية :

ليست قدمي

مصدر المي ،

بل انني على استعداد

للتضحية بالقدم الاخرى

وبكل جسـمي

وفي سبيل وطني .

ولكن يؤلمني

أنني أصبحت عاجزا

عن حمل البندقيـة

والقتال مع الرفاق

في سبيل الحرية .. (٩)

وخلال ١٩٦٢ نشرت مجلة «صوت الشباب» أيضـاً قصيـدة جديدة للشاعر مقصود شيخو *Maksut Shehu* بعنوان « الحرية للجزائرية » . وفي هذه القصيدة الطويلة ، التي تقارب أبياتها الخمسين، يكشف الشاعر شيخو عن الموت على الطريقـة الجزائرية ، وبالتحديد عن مغزى سهولـة الموت وذلك من خلال حوار بين فتاتين جزائرتين :

((الموت سهل

في سبيل الحرية !))

هكذا قالت

صديقتي باعتزاز .

لا أعرف ،

لا ،

فهي لم تعـد

لم تأت

لتخبرني

كم هو المـوت

سهـــل .

يجب ان يكون سهـــلا

المـــوت

لأن الحيـــاة

بقيت في حلقي

كشوكـة صدئـة

....

الموت ســـهل

في هذا العالم ،

عالم الاستعباد

والجنازيـر

والمعتقلات ،

حيث لا توجد

الحريـــة ،

ولا الاخوة ،

ولا المســـاواة . (١٠)

لقد نشرت هذه القصيدة في منتصف سنة ١٩٦٢ ، أي في الوقت الذي كانت فيه الجزائر تفرح بانتصار ثورتها : وهو الحدث الذي كان له صداه في كل مكان . وهكذا فقد كان من الطبيعي أن يجد هذا الحدث صداه في الشعر الألباني أيضاً . ففي ١٩٦٣ نشرت مجلة « الحياة الجديدة » قصيدة للشاعر ذكير كرفالا Zeqir Kervlla بعنوان « الفخر الجزائري » ، وفي هذه القصيدة يعبر الشاعر عن تقديره لافتخار الجزائريين بالنصر الذي أحرزوه ؛ ثم يعبر اخيرا عن مشاعره الطاغية كألباني يتوجه بالحديث الى « الأخوة » الى «أبناء الأم الواحدة » .

لتفتخر الأرض الجزائرية

في عيون الاجيال القادمة ،

ليفرح قلب كل أم

بالشمس الحمراء في الفجر .

لجميلة كهذه الجزائرية

يبكي قلب كلّ وطني ،

يا اخوة الدم ، يا ابناء الأم الواحدة ،

لقد طفح الدمع في عيوني ... (١١)

ومن تلك الفترة أيضاً لدينا قصيدة أخرى للشاعرة آدلينا ماماتشي *Adelina Mamaqi* بعنوان « أغنية الفتيات الجزائريات » ، تلك التي نشرت في وقت متأخر في مجلة « صوت الشباب » . وتتميز هذه القصيدة بكونها تعبر عن مجموعة أصوات نسائية بحيث يفرد مقطع لكل صوت لكي يوجز لنا ما أصابه خلال الاحتلال :

لقد قتلوا أختي وأخي المسكينين ،
قطعوا آذاننا وتركونا دون عيون ،
ثم ارسلوا كل ذلك كهدايا الى فرنســا
الى الأخ والعشيقة والاب والام

لقد قتلوا لي صديقي ، صديقي العزيز ،
قتلوه عند البئر حين كان يستخرج دم هذه الارض ،
لقد اصبحت الحياة التعيســة دونه مظلمة في عيوني
اذ ان الموت قد خطف معه قلبي .

لقد قتلوا لنا الآباء والازواج
لقد قتلوا الجميــع ،
آه ــ كم هي مرة هذه الدموع ،
وكم هي التعاســة في ان تبقى يتيما في العالم ! (١٢)

إن ما يلفت النظر في هذه القصــائد هو أن معظمها قد كتب ونشر في يوغسلافيا ، أي يخص فرع الأدب الألباني في يوغسلافيا . وفي الواقع لقــد كان الألبانيون قد انقسموا بشكل متساو تقريباً بين الدولتين الجديدتين في مطلع هــذا القرن ، أي يوغسلافيا وألبانيا ، وأصبح الأدب الألباني بالتالي يتوزع على هذين المركزين . ومما لا شك فيــه أن هذه القصائد ، التي تمجد الكفاح في سبيل الحرية وتدين الارهاب ، كانت تساهم في شحن الألبانيين بدفقات من التصميم على الصمود في وجه الارهاب المحلي ، وبالتحديــد في وجــه إرهاب أجهزة دولة الأمن التي تعرّت وسقطت في صيف ١٩٦٦ ، بعــد أن

كادت تنجح في تيئيس الألبانيين من حياتهم في يوغسلافيا ،وبالتحديد من المساواة القومية مع بقيـة الشعوب اليوغسلافية (١٣) .

في أواخر تشرين الأول وأوائل تشرين الثاني ١٩٨٧ عقـدت في تيزي اوزو بالجزائر ندوة دولية حول « الثورة الجزائرية في الآداب العالمية » . وقـد دعي حينئذ للمشاركة في هذه الندوة من يوغسلافيا د . محمد موفاكو و د . داركو تاناسكوفيتش ، وهاهنا أحدالاسهامات التي ألقيت في هذه الندوة ، وقـد نشر لأول مرة في « الموقف‌الأدبي» عدد ٢٠ ، دمشق ايلول ١٩٨٩ .

١ـ تجدر الاشارة هنا الى مداخلة المؤرخ الدكتور أبو القاسم سـعد الله الذي أشار الى ضرورة الأخذ بعين الاعتبار وجود عدة روايات حول أصل عروج وأخوته . وفي الحقيقة ، لا يوجـد تناقض ، كما يبدو للوهلة الأولى ، بين الروايـات التي تصنفهم أحياناً كألبانيين وأحياناً كيوناِنيين وحتى كأتراك . ويبدو لنا أولاً أنه من الأهمية أن نشير الى أن المصادر الأوروبية التي تعود الى بداية القرن السادس عشر ، الى العصر الذي عاش واشتهر فيـه عروج وأخوته ، قد ذكرت بوضوح أن هؤلاء من الألبانيين ، مما يدل على أن هذا كان حقيقة معروفة منذ ذلك الحين:

A. H. Lybyer, The Goverment of the Ottoman Empire in the Time of Suleiman the Magnificen, London 1913 , P. 246 .

وفي الحقيقة أن الألبانيين ينتشرون في كل بلاد البلقان ، ولذلك يحـدث كثيراً أن ينسب أحدهم الى البلاد التي يعيش فيها :روماني،

بلغاري ، يوغسلافي ، يوناني الخ. ولذلك فمن هنا تنبــع تلك الروايات التي تعتبر عروج وأخوته من اليونانيين ، وهم في الحقيقة من ألبانيي اليونان . وهنا تجدر الاشارة الى أن الألبانيين كانوا يشغلون عنصراً مهماً في المناطق الحالية التي تتألف منهـا اليونان الآن . ويكفي أن نذكر هنا أن أثينا حين أصبحت عاصمة لليونان المستقلــة سنة١٨٣٢ كان سكانها لا يتجاوز عددهم ثمانية آلاف نسمة وكان أقرب قرية لها هي مينيذي ، التي يتألف ســكانها من الألبانيين . ومع الزمن توســعت أثينا وأصبحت مينيذي وغيرها من قرى الألبانيين جزءاً من المدينة ، التي احتفظت أحياؤها بأسمائها الألبانية :

Rexhep Zllatko, Me arbereshet, Prishtine 1976 .

وبعد حوالي نصف قرن ، أي بعد أن توســعت أثينا كثيراً ، نجد أن مجلة « الجنان » اللبنانية تذكر خلال ١٨٨٢ أن الألبانيين يتميزون بسهولة في الســهول المحيطة بالمدينة : البشر ، الجنان ، ١٥ تشرين الثاني ١٨٨٢ ، ص ٦٩٦ .

أما فيما يتعلق بالروايــات التي تصف عروج وأخوته بـ «الأتراك» فمن الضروري هنا أن نأخذ بعين الاعتبار أن المصــادر الأوروبية كانت تستخدم عادة تعبير « الأتراك » كمرادف لـ « المسلمين » ، بينما نجد أن الكتابات العربيــة المتأخرة تستخـدم هذا التعبير دون تمييز حين تتحدث عن « الولاة الأتراك » . وفي الواقع أن المصادر الأوروبية تميز عادة بين قومية الولاة ، الذين ليسوا كلهم طبعاً مـن الأتــراك .

٢ ـ حول الوجود الألباني في الجزائر لـدينا فصل كامل في أطروحتنا للدكتوراة :

Dr. Muhamed Mufaku, Prania e shqiptareve ne boten arabe gjate shek . xviii- xix dhe ne fillim te shek-xx, Prishtine , F. Filozofik, 1986

٣ ـ حول هؤلاء الأحفاد الجزائريين يميـل بعض الباحثين الى الأخذ بالرواية التي تقول ان ٤٠٠ مـن المجاهدين أو القراصنـة الجزائريين قد استقروا في هذه المدينة في أواخر القرن السـادس عشر، مما سـاهم هذا في تطور الجهاد البحري أو القرصنة في هذه المدينة . أنظر مثلاً :

Pavle Pavlevic, Ulcin Ulcin 1977

وعلى كل حال لقد تحولت هذه المدينـة الى جمهورية صغيرة وأصبحت تسيطر باسطولها على البحر الأدرياتيكي بينما تنتشر سفنها في كل البحر الأبيض المتوسـط . وقد أقامت هذه المدينة ـ الجمهورية علاقات اقتصادية وتجارية مع الجزائر بشكل خاص والشمال الأفريقي بشكل عام . فقـد كانت سفن اولشين تصدر للجزائر الفحم وتعود بالملح والمصنوعات اليدويـة ، كما كانت تحمل معها العناصر البشرية للعمل في اولشين « في السفن أو في الزراعة أو للخدمة في البيوت » أو للزواج :

Dr. Qazim Lleshi, Ulqin - Shembull i mderitimt te rolit qytetes, kohl 6, Titograd 1980, pp. 641 - 674 .

Gjergj Benisha Kusaret e Ulqinit, Rilindja 19 - 21 . x . 1973 .

٤ ـ في هذا السيـاق يمكن أن نتفهم ما قيل خلال اللقاء الذي جمع بين وزير الخارجية الجزائري د . أحمد طالب الابراهيمي والرئيس الألباني رامز عليا خلال تموز ١٩٨٧ . فقـد أبرزت الصحف الألبانية ما قاله الرئيس الألباني بهـذه المناسبة :

« إننا نشعر مع الأصدقاء الجزائريين بتقارب كبير ، لأننا قد وحدنا التاريخ والحروب والجهود في سبيل الحرية والاستقلال ... » :

Zeri i Popullit, Tirane 9-07-1987

(5) Selatin Ahmeti, Sahara e pergjakun, zani i rinise nr. 7, Prishtne 15.05.1958 .

(6) Rexhep Kelmendi, kanga e poetit algjerian, jeta s Re nr . 6,Prishtime 1959 .

(7) Muharrem shahiqi, Algjeriani, jeta e Re nr. 6, prishtine 1960

(8)Ibrahim Zhuri, dromca nga ditari i nji algjeriani , zani i rinise nr. 17, prishtine 10 . 11 . 1960

(9) Muhamed Kerveshi, Biseda e dy invalideve, zani i rinise nr. 8, prishtine 1961

(10) Maksut shehu, per liri Alegjerianes, zani i rinise nr 16 prishtine 1962 .

(11 Zeqir Kervalla , krenaria algjeriane, jeta e Re nr,3, prishtine 1963.

(12) Adelina Mamiqi keng e vashave algjeriane zeri i rinise nr.32, prishtine 1969.

يتضح هنا أن نشر هذه القصيـدة في يوغسلافيا قد تأخر حتى ١٩٦٩ ، بينما من المؤكد أن هذه القصيدة قـد نشرت خلال ١٩٦٢ ــ ١٩٦٤ في ألبانيا • وللاسف لم نستطع حتى الآن التوصل الى مكان وزمان نشر هذه القصيـدة لأول مرة •

١٣ ــ للتوسـع حول هذا راجع مقدمتنا لـ :

سنان حساني ، الريح والبلوط ، مؤسسة الأبحاث العربية ــ ذاكرة الشعوب ، بيروت ١٩٨٦ •

★ ★

الحضور الفلسطيني في الأدب الألباني

في كل أدب هناك ما هو لحظي وادعائي وهناك ماهو ثابت وأصيل . إن هذا الأمر بطبيعة الحال يشمل أيضاً الأدب الألباني . إلا أن الحضور الفلسطيني في هذا الأدب ليس شريحة لحظية أو ادعائية ، بل انه تعبير عن الموقف المتميز للشعب الألباني إزاء المحيط الأوروبي من حيث ارتباطه بفلسطين ، الشيء الذي يبدو بوضوح في أدب هذا الشعب . ولا شك أن هذا الارتباط بفلسطين يمكن أن يفهم فقط بالاستناد الى الروابط التاريخية من ناحية ، والى مغزى المصير الفلسطيني للشعب الألباني من ناحية أخرى .

فمع توسع الامبراطورية العثمانية نحو الشمال « البلقان » ونحو الجنوب « المشرق العربي » أصبحت المناطق الألبانية لعدة قرون جزءاً من الشرق سواء بالمفهوم الجيوبوليتيكي أو بالمفهوم الثقافي ـ الحضاري . وفي إطار هذا « الشرق » ، وبالتحديد هذه الدولة الواحدة ، تقاسم الألبانيون العيش مع العرب ومع غيرهم من الشعوب عدة قرون ، حتى مطلع القرن العشرين . وخلال هذه القرون الأربعة الأخيرة اختلط الألبانيون بالعرب الى حد أن كثيراً من الألبانيين بقوا في البلاد العربية ، وبالتحديد في فلسطين ، حيث استقروا هناك .

ومع هذا الاختلاط كان من الطبيعي أن تنشأ مشاعر جديدة وأن ينظر الألبانيون الى فلسطين نظرة خاصة ، لاعتبارات دينية وغير دينية ، أ يكمكان مقدس يمكن أن يضحوا بحياتهم في سبيله • ويكفي أن نذكر هنا ما فعله نابليون بونابرت مع الألبانيين الذين كانوا يدافعون عن يافا خلال حصاره لها • فقـد كان قد اعتقل بعد احتلاله للعريش ثم لغزة عدة آلاف من الألبانيين وأطلق سراحهم على شرط ألا يعودو لقتاله ، ولكنهم ذهبوا الى يافا وحاربوا هناك الى أن فرض عليهم الاستسلام • وقد أمر نابليون حينئذ بقتلهم ، وكان عددهم حوالي ثلاثة آلاف ألباني ، في ١٠ آذار ١٧٩٩ وتركهم في العراء طعاماً للجوارح مما أثار عليـه نقمة التاريخ • وقد تكرر هذا الموقف بعد قرن ونصف حين أصبحت فلسطين مهددة بالخطر الصهيوني • ففي ذلك الحين هب الألبانيون القاطنون فيفلسطين ، بالاضافة الى المتطوعين القادمين من سـوريا وحتى من تركيا ، في مشاركة اخوانهم العرب في الدفاع عن فلسطين من الخطر الذي يتهددها • وربما تجدر الاشـارة هنا الى أن أول رئيس للحكومة الفلسطينية التي أعلنت حينئذ في غزة ، أحمد حلمي ، كان من الألبانيين الذين استقروا في فلسطين •

وبالاضافة الى تأثير الحياة المشتركة ، أو الى ذكريات تلك الحياة التي انتقلت من الآباء الى الأبناء ، كـانت فلسطين تشـد انتباه الألبانيين لسبب آخر ، ألا وهـو مغزى المصير الفلسطيني بالنسبة للالبانيين • فمن المعروف أن الألبانيين يعشقون الحرية والاستقلالية ولذلك فقـد كافحوا وعانوا كثيراً للحفاظ على حياتهم واستقلاليتهم • ومن هنا فإن الألبانيين يقدرون كثيراً كفاح الشعوب الأخرى ، سواء المجاورة أو البعيدة ، في سبيل الحرية والاستقلال • ومن المعروف هنا

أن الألبانيين شاركوا بحماس كبير في الحركة القوميـــة التحررية سواء في اليونان أو في ايطاليا خلال القرن التاسع عشر • ولهذا فإن مصير الشعب الفلسطيني يبعث في وسط الألبانيين ذلك الذي عانوه وعايشوه في الماضي •

تمتد الدياسبورا الألبانية عبر القارات الأربع : إلا أن الأدب الألباني الآن يعتمد على منبعين كبيرين ، ألبانيا ويوغسلافيا : حيث يتوزع الألبانيون تقريباً بالتســاوي • ومع أن الأدب الألباني يعتبر وحــدة لا تتجزأ إلا أن كل فرع في الواقع يتميز بنكهــة خاصة • فالأدب الألباني في يوغسلافيا يتميز من حيث المضمون والشــكل عن الأدب الألباني في ألبانيا ، وذلك لخصوصية التجربتين في هذين البلدين• وفي الواقع ان التجربــة الغنية للشعب الألباني في يوغسلافيا أدت الى أن يغتني هذا الفرع من الأدب الألباني بالموتيفات الخارجيــة • فمن المعروف أن الشعب الألباني في يوغسلافيا عايش خلال ١٩١٨ ــ ١٩٤١ وضعاً لا يحتمل بعد أن مورست ضده كل وسيلة لاقتلاعه من أرضه ورميه خارج الحدود • ولكن مع انتصار القوى الديموقراطية التقدميــة ، تحت قيادة تيتو ، التي كانت ترفض ذلك الارهاب الموجه ضد الألبانيين ، فقــد اتيح للالبانيين أخيراً في يوغسلافيا الجديدة أن يتمتعوا بحقوقهم القوميــة الأساسية • ومن ذلك كان يكفي أن يتمتع الألبانيون بحق تعلم اللغة الألبانية والتعبير بهذه اللغة عن أدبهم الجديد، الشيء الذي كانوا محرومين منه تماماً في العهــد الملكي ١٩١٨ ــ ١٩٤١ • ومن هنا ليس من المصادفة ابداً أن تبرز فوراً في هذا الأدب الجديد خلال الخمسينات الموتيفات الجزائرية التي تعبر عن تضامن الألبانيين مع اخوانهم الجزائريين في كفاحهم لأجل الحرية والاستقلال،

وهو الشيء الذي كان له مغزاه بطبيعة الحال بالنسبة الى الألبانيين في يوغسلافيا .

وفي منتصف الستينات « ١٩٦٥ ـ ١٩٦٧ » لا نستغرب في هـذا السياق ما نجده من بروز للموتيفات الفلسطينية في محل الموتيفات الجزائرية ، بعـد أن أحرز الجزائريون حريتهم واستقلالهم . وقد كان لهذا التحول أيضاً مغزاه . فقـد كان الألبانيون حينئذ ١٩٦٦ قد تحرروا من « القبضـة القوية » ، التي هي تعبير يوغسلافي عن « دولة أجهزة الأمن » بقيـادة أ.رانكوفيتش التي كانـت تتحكم في الواقع بالدولـة الشرعية التي كان يمثلها في الخارج تيتو ، وأصبحوا منذ ذلك الحين يتمتعون بوحدة فدرالية متساوية مع بقيـة الوحدات الفدرالية السبع في يوغسلافيا . وبالاضافة الى هذا تجدر الاشـارة الى الموقف المبدئي للرئيس تيتو من القضيـة الفلسطينية ، الذي ساهم في خلق مناخ مؤيد للفلسطينيين في يوغسلافيا . ومع ذلك يمكن القول بحريـة أن أي أدب في يوغسلافيا لا يمكن أن يقارن ، من حيث انتشار الموتيفات الفلسطينية ، مع الأدب الألباني . ان هـذا يدل على ان الألبانيين ، مع أنهم يتمتعون الآن بالحرية والمساواة ، ما زالوا يشعرون بأحاسيس خاصة إزاء الفلسطينيين لأنهم قد خبروا بأنفسهم « المصير الفلسطيني » خلال سنوات ١٩١٨ ـ ١٩٤١ .

يتميز الأدب الألباني في يوغسلافيا من حيث أن الموتيفات الفلسطينية تنتشر في كل اتجاه ، إذ انها تواجهنا في الشـعر كما في النثر ، ونجدها في شعر الأطفال كما نجـدها في شعر الكبار ، ونجـدها في قصائد الشعراء الشباب كما نجدها في قصائد الشعراء المعروفين . والأكثر من هذا ان الموتيفات الفلسطينية نجدها حتى في الشـعر الذي يكتبه

الأطفال في جرائدهم ومجلاتهم ، وهكذا لدينا في هذا الأدب ما يشبه « السيل الشعري » : أحياناً يسيل بهدوء وأحياناً بعنف ، إلا أن منبعه لا ينضب أبداً . وفي هذا « السيل الشعري » لدينا ابداعات متفاوتة بطبيعة الحال طالما انها صدرت عن أجيال مختلفــة في لحظات مختلفة . فلدى الشعراء الشباب لدينا أحياناً أو غالباً صياغات شعرية للاحداث اليومية ، للمآسي المؤثرة التي تحــدث من حين الى آخر في الجانب الفلسطيني ، ولردات الفعل التي لا يسكن أو لا تريد أن تنتظر طويلاً . وبعبارة أخرى لدينا هنا « شعر فلسطيني» لا يختلف كثيراً عن شعر « الرومانسية الثوريــة » الذي يبدعه بعض الشعراء الفلسطينيين . ولكن في الجانب الآخر ، لدى الشعراء الكبار بحيث ترفع مأساة الشعب الفلسطيني الى المستوى الانساني باعتبارها مأساة تقلق كل إنسان يتمتع بضمير .

طالما أن الموتيفات الفلسطينية تنتشر بهــذا الشكل في الأدب الألباني فليس من السهل بطبيعة الحال التعريف بها في مجال محدود كهذا . وفي هذه الحالة لا بد من الاختيار ، في مجال الشعر مثلاً ، وحتى بين قصائد الشعراء المعروفين الذين نجدهم عادة في المختارات التي تمثل الشعر الألباني Enver Gjerqeku ١٩٢٨ ، الذي كان ممن عايشوا كل التحولات التي لحقت بيوغسلافيا . وكان هذا الشاعر قد كتب قصيدة عن تل الزعتر وشارك بهــا في « مهرجان الشعر الثوري » في جنوب يوغسلافيا خلال ١٩٧٩ قبل أن تنتشر في عدة مجلات ومختارات . وفي هذه القصيدة الطويلة يرسم جرتشيكو بحزن بالغ كأي فلسطيني مرارة الوضع الفلسطيني ولكن سرعان ما يأخذ منه الرمز بالنسبة للمستقبل الفلسطيني :

تل الزعتر

انت شاطىء بحر دون نهاية

دون صخور ، دون رمال ،

أنت وطني المصغر

الذي ترسمه اصابع وايادي الاطفال

المشوهين بالنابالم .

انت من اكثر الاغنيات حزناً

التي تغنى للطفـل

المولود بين الحب والحقد

للطفل الذي لم يتعلم بعد نطق اسم امه .

انت السورة الأولى والأخيرة

لقرآن جديد ،

لقرآن محفور على الجماجم ..

ومن الشعراء المعروفين الذين كتبوا عن فلسطين لا بد أن نذكر المرحوم آدم غيطاني *Adem Gajtani* « ١٩٣٥ – ١٩٨٢ » ، الذي كتب عدة قصائدة عن فلسطين وعن الفلسطينيين . وفي قصائد هذا الشاعر نجد كل شيء يتميز بلون فلسطيني ، أو ان كل ما يخص فلسطين والفلسطينيين له بالضرورة لون خاص يميزه عما عداه في العالم . ففي قصيدة « حب فلسطيني » مثلاً نجـد أنه حتى الحب بالنسبة للفلسطيني يختلف عن حب الآخرين ، بل ان الفلسطيني لا يمكن أن يحب سوى فلسطين ولذلك لا يمكن أن يحب سوى فلسطين ولذلك لا يمكن أن يحب كما يحب أية امرأة قبل أن ينتهي من حبه الأكبر :

لا ،

ليس لدي وقت

للقبلات ،

والنظرات

الرفاق ينتظروني

تحت زهرة الدم ،

ليس لدي وقت للهمسات

ولضوء القمر ...

وفي هذا السياق الذي يصطبغ فيه كل شيء فلسطيني بصبغة متميزة تبدو قصيدته الأخرى « رثاء أم فلسطينية » :

يا فلسطين ،

لن ينتزعك احد من حلمنا

لا الليل ولا الطاعون

الآن استريحي على صدري الأسود

واحلمي بطائرة العودة .

روحك الآن في كفي الحمراء

يا زهرة قطعت بمنقار غراب ،

لا الليل ولا الطاعون

سينتزعانك من حلمنا ...

ولدينا قصيدة أخرى تحمل هذا الواقع ـ الرمز الفلسطيني ، أي الأم الفلسطينية ، ألا وهي قصيدة « حكاية أم فلسطينية » للشاعر

يعقوب سرايا Jakup Caraja ١٩٣٥ ، حيث يتداخلُ فيها الماضي مع الواقع والمستقبل بشكل أخاذ :

في تل الزعتر ، في ليلة مظلمة مع ثلاثة اطفال

مع ثلاثة آمال لاغنيتنا التي لم تنشد بعد

احدهم اصبح يلفظ أمي

والثاني اصبح يعرف ما يعني هذا الاسم ومالا يعني

اما الثالث فاصبح في وسعه ان يحميني

وانا اصبحت للبكاء فقط

ولكن الآن يقولون لي بالسنتهم وعيونهم :

اماه ، يا اماه ، غني ولا تبكي

غني للمقاومة

التي ستحيينا وتنقذنا .

ومن ناحية أخرى نجد الشاعر محمد كرفيشي Muhamed Kerveshi ١٩٣٥ في قصيدة « فلسطين » يرى اكمحمود درويش الليلَ كرمز للتبشير بالنهار طالما أنه لا بد أن ينجلي بحكم قوانين الطبيعة :

النار تمتد على دروبك الطويلة

الا ان النجوم ترشد الليلَ الى طريقِ عودته

احصنة طروادة الباهتة تحني رؤوسها

والغبار في اعينهم المغلقة

يرقص رقصة فراقهم الباردة .

ومن الشعراء الذين كتبوا كثيراً عن فلسطين بدري هيسا Bedri Hysa ١٩٣٥ التي تمثل حالة من الذوبان في الذات الفلسطينية . ففي لوحة شعرية مكثفة بعنوان « فلسطين » يعبر هيسا عن هذه العلاقة الخاصة التي تربط ما بين فلسطين والفلسطينيين ببساطة وعظمة في آن واحد :

بين فلسطين والفلسطيني عشق

يفوق كل عشق

بين فلسطين والفلسطيني حب مجنون

ربط بينهما على مر القرون

وعلى الرغم من كل ما حدث حتى الآن

لن تركع فلسطين بعد

ولم يركع الفلسطيني الى الآن .

وفي قصيدة أخرى بعنوان « متى سيأتي فصل الربيع » يسحبنا هيسا وراءه لنتخيل ماذا يعني ذلك اليوم الذي ستفرح فيه فلسطين أخيراً ، بل الذي ستكون فيه أسعد بلد في العالم :

حين يأتي ذلك الفصل

فصل الربيع

مرة والى الأبد

اينتها الغالية والمقدسة

للقرابين الكثيرة

وللعمالقة

وحين يلتقيان

ويتعانقان

فلسطين والفلسطينيون

الفلسطينيون وفلسطين

وتشهق فلسطين

ويبكي الفلسطينيون

من بحر دموع الفرحـــة

ومن بحر اللوعـــة

ستكون فلسطين اسعد بلد في العالم

آه يا فلسطين ، متى سيأتي ذلك الربيع

وبالاضافة الى أمثال هذه القصائد التي تختزن الموتيفات الفلسطينية، التي لا يمكن التعريف بها في مجال كهذا ، لدينا عدة قصائد مطولة تقترب من الملاحم ، حيث ترتفع فلسطين الى مستوى متميز يعبر عن الهم الانساني برؤية فنية خاصة ذات قيمة كبيرة . ومن هذا لدينا عمل بشير موصلي Beqir Musliu ١٩٤٥ « آه يـافلسطين » الذي يمتد عبر مئات الأبيات . وفي هذا العمل نجد أن الشاعر موصلي يربط بشكل ناجح بين الادعاء الحديث للشرعية اليهودية على فلسطين بادعاء أقدم ، ألا وهو الشرعيـة اليهودية على سلالة آدم وحواء ؛ ولذلك يقوم الشاعر هنا بفرز جديد بين ذريتين لأدم وحواء ــ ذرية شرعية لـ « آدم البريء وحواء المقدسة » وذرية أخرى غير شرعية لـ « آدم الخاطيء وحواء المذنبة » :

يا ابناء آدم الخاطىء وحواء المذنبة
من حملكم الى هذا السهل الذي ليس سهلا ؟
لنبعث الموت
الذي حملناه على ظهورنا عبر العالم .
ماذا حل بكـم
يا ابناء آدم وحواء
من اين جئتم الى هذا السهل الذي ليس سهلا
كنتم الما على رؤوس الاصابع
وتحت الأظافر منذ آلاف السنين
كنتم حملا لا يطاق على ظهر كل انسان
وما زلتم تبحثون عن الظلال الضائعة
التي تجدونها فينـا
نحن ابناء آدم البرىء وحواء المقدسة .

وعلى نمط آخر لدينا قصيدة طويلة من مئـات الأبيات بعنوان « فلسطين » للشاعر عمر شكريلي Ymer Shkreli ١٩٤٥ الذي يصور فيها بشكل مؤثر « الوطن » الفلسطيني الذي لا نجد له مثيلاً في العالـم :

نحن مثل الطيور المحنطة ،
ليس لها تراب تمسه باقدامها
وليس لها ارض خاصة باسمها
فوطنها الريح والزقزقة

نحن لنا لساننا وعيوننا

نحن مثل الطيور

التي تطير في عكس الرياح

والرياح لا تتوقف للحظة .

نحن ايضا ليس لنا اعشاش ،

فاعشاشنا الأنقاض المفحمة

وسماؤنا دخان البارود

نحن لا نعيش فوق الأرض للموت

ففي الموت يسكن اطفالنا

نحن لا نملك شيئاً الا السماء،

ففي السماء لنا الحقول والبيادر

لنا قطرات المطر وقنابل المدافع

في السماء يصفر لنا الرصاص

باسم الغناء والشتاء

نحافظ على العظام والبنادق

لنبني بها البروج والحصون

.... (1)

(×) القي هذا البحث تحت عنوان « الموتيفات الفلسطينية في الشعر الألباني » Motivet palestineze ne poezine shqipe

في الندوة العلميـــة التي نظمهـــا « معهـــد الدراســـات الألبانيـــة Instituti albanolgjik حول الأدب الألباني في مدينة بريشتينا ، عاصمة اقليم كوسوفا اليوغسلافي في نيسان ١٩٨٤ ٠

(١) هذه النماذج ، بالاضافة الى نماذج أخرى ونبذ عن الشعراء ، يستطيع القارىء أن يجدها في اللغة العربية ضمن « مختارات من الشعر الألباني المعاصر » ، الذي صدر لنا عن اتحاد الكتاب العرب في دمشق خلال ١٩٨١ ٠

★ ★ ★

مغزى المفردات العربيّة في الأعمال الأدبيّة الألبانيّة

نموذج رواية

ـ بدأ العنب ينضج ـ

ينتشر الوم استعمال اللغة الألبانية في عدة دول بلقانية . فهي تعتبر لغة قومية في ألبانيا ، واللغة الثانية من حيث عدد الناطقين بها في يوغسلافيا بعد اللغة الصربوكرواتية ، بالاضافة الى انها لغة الأم للالبانيين في الدول المحيطة ، في تركيا واليونان وايطاليا ، حيث ينتشر أكثر من ثلاثة ملايين ألباني .

واليوم يزداد الاهتمام أكثر باللغة الألبانية في وسط الباحثين الذين يخرجون من حين الى آخر بنتائج جديدة ومثيرة (١) . ومن المعروف أن اللغة الألبانية من أقدم اللغات في البلقان وفي أوروبا ، وتعتبر من اللغات النادرة التي بقيت على قيد الحياة بعد أن عايشت مختلف عصور التاريخ . وتتميز اللغة الألبانية في انها امتصت الكثير من مفردات اللغات الأخرى ، لغات الحضارات الأقوى التي كانت تسود الواحدة بعد الأخرى ، وتحولت بهذا الى شاهد حي

على مختلف التغيرات الحضارية التي حـدثت في المنطقة • ففي هذه اللغة نجـد مثلاً شريحة يونانية ، مفردات من اللغة اليونانية القديمة وأخرى من الجديدة ، ثم شريحـة لاتينية ـ رومانية ـ إيطالية ، وأخيراً شرقية « عربية ، تركية ، فارسيـة » •

وعلى الرغم من الفاصل الجغرافي بين الناطقين باللغتين ، العربية والألبانية ، فقـد كانت اللغة الألبانية حتى السنوات الأخيرة تتميز على الصعيد الأوروبي بوفرة المفردات العربيـة بشكل يلفت النظر • ولقـد كنا قد أشرنا قبل عشر سنوات الى هذه المفردات باسمها في مقالة لنا [٢] . بينما كانت هذه المفردات تدخل لدى كل من عمل في هذا الاتجاه ضمن ما يسمى « التركيات » [٣] • وفي هذه المناسبة نشعر انه لا بد من تصحيح هذه التسمية لأن الأتراك قد حملوا معهم الى البلقان قسماً من المفردات العربية ، ولكنهم لاحقاً شجعوا انتشار العربيـة في البلقان وبهذا أتاحوا المجال للتواصل المباشر ، بينما وصل قسم آخر عن طريق الأوربيين الغربيين الذين احتكوا بالعرب• والأهم من هذا ان المفردات العربيـة قد دخلت اللغة التركية عن طريق اللغة الفارسية أيضاً ، ومع ذلك لا يطلق عليها طبعاً « المفردات الفارسية » بل تبقى مرتبطـة بأصلها ، أي باللغة العربية [٤] •

لقد كان الأتراك العثمانيون قـد اقتحموا البلقان في النصف الأول من القرن الرابع عشر ، وفي النصف الثاني مـن ذلك القرن كانوا قد أصبحوا على وفاق مع بعض الألبانيين بينما بقوا على عداء مع البعض الآخر [٥] • وبعد قرن فقط كـان الأتراك العثمانيون يسيطرون على كل الأراضي الألبانية بينما كان الألبانيون قـد أخذوا باعتناق الاسـلام تدريجياً • وبعد قرن آخر ، في النصف الأول للقرن

السادس عشر ، كان العثمانيون قد توسعوا جنوباً نحو سوريا ومصر والعراق والجزيرة العربية وشمال أفريقيا ، وضمن هذه الدولة الجديدة اختلط الألبانيون مع العرب حتى بداية القرن العشرين .

ولا شك هنا في أن المفردات العربية ، ولأسباب سنشرحها حقاً، قد انتقلت أولاً عبر الأتراك منذ بداية احتكاكهم بالألبانيين . ولكن فيما بعد أصبح للالبان علاقتهم المباشرة باللغة العربية وبالعرب ، واستمرت هذه العلاقة عدة قرون فساعدت بدورها على زيادة المفردات العربية في اللغة الألبانية . فمع انتشار الاسلام انتقلت فوراً للالبانية مفردات كثيرة تتعلق بالدين ، وأخذت اللغة العربية تنتشر تدريجياً هنا بواسطة الكتاتيب والمدارس الشرعية . وحتى هنا فقد كانت الدروس في البداية تجري في اللغة التركية ، ولكن اللغة العربية أخذت تحل محل التركية ابتداء من القرن السادس عشر [٦] .

ومن ناحية أخرى كانت قد امتدت عدة جسور متينة لتربط منذ ذلك الحين الألبانيين بالعرب ولغتهم وأدبهم وثقافتهم المادية والروحية . ففي وجودهم ضمن دولة واحدة خلال أربعة قرون أصبح الألبانيون يترددون دائماً على البلاد العربية للحج والدراسة والتجارة والخدمة العسكرية الخ.

كان الأتراك العثمانيون قد حملوا معهم الى البلقان حضارة جديدة تماماً ولذلك كان من الطبيعي أن تنتقل فوراً الى الألبانية المفردات الجديدة المتعلقة بهذه الحضارة ، وبالتحديد نظام الدولة الجديدة والدين الجديد . ومع انه لا يوجد لدينا نصوص ألبانية من ذلك الوقت [٧] ، إلا اننا نفترض هنا أن يكون الألبانيون قد تعرفوا

أولاً على ما يخص المملكة memleqet الجديدة التي أصبحوا يعرفون حدودها hudut « سلطان sultan ، صدر أعظم sadriazem وزير vezir ، والي vali ، وكيل veqil ، ضابط zapit : قاضي kadi ، خراج haraxh حكومة hyqymet ، كاتب qatib ، اعلام ilam ، دلال delat جلاد xhelat الخ» ؛ وهي المفردات التي بقيت في الألبانية حتى يومنا هذا تقريباً . أما أهم اختراق للمفردات العربية في اللغة الألبانية فقد حدث مع انتشار الاسلام حيث لم يكن هناك بديل فوري للمفردات الجديدة : الله Allah ، جامع xhami منارة minarct ، شيخ sheh فرض farz ، امام imnam خطيب hatib مفتي mufti ، سنة synet الخ .

وفي وقت لاحق ، ابتداء من القرن السادس عشر ، ازدادت وترسخت المفردات العربية في الألبانية مع استعمال الحروف العربية كأبجدية جديدة للغة الألبانية ، ومع بروز الحركة الشعرية الجديدة التي كانت في الواقع نتاجاً لتشرق الألبانيين ، أي لارتباطهم بالشرق عوضاً عن الغرب . فمع هذا الانعطاف أصبحت النصوص الأدبية الألبانية تمتص مزيداً من المفردات العربية ، وخاصة في المجال المتعلق بالتصوف ، حتى ان عدد المفردات العربية في هذه النصوص أصبح يتجاوز مفردات أية لغة أخرى (٨) .

لقد كانت اللغة العربيـة أحد المصادر التي استمد منها قاموس اللغة الألبانية مئات المفردات • وفي الواقع لقـد استمد القاموس الألباني عدة مئات أخرى من المفردات التركية ومثلها من اليونانية ، بينما استمد أكثر من ذلك من اللاتينية • ولكن على الرغم من ذلك تتميز هذه المفردات ، ومنها العربية بطبيعة الحال ، في انها قد تراكمت في القاموس الألباني دون أن تؤثر في جوهر اللغة الألبانية ، أي في القواعد الألبانية التي بقيت تحتفظ بأصالتها القديمة •

كأن مصير المفردات العربية في اللغة الألبانية يرادف أيضاً تحولات عميقة في الوسـط الألباني • ففي نهاية العهد العثماني نمت الحركة القومية الألبانية التي كـانت تسعى الى اللحاق بالغرب ؛ وشهدت السنوات الأخيرة للعهد العثماني صراعاً حاداً حول الأبجدية بين أتباع الحروف العربيـة وأنصار الحروف اللاتينية • وفي هـذه الظروف اندلعت في خريف ١٩١٢ الحرب البلقانية لتنهي الحكم العثماني في هذه المناطق ، ثم جـاءت الحرب العالمية الأولى التي خلفت وضعاً جديداً في المنطقة • ففي هـذا الوضع انقسم الألبانيون بين الدولتين الجديدتين ، بين ألبانيا ويوغسلافيا ، حيث بقي الجنوب الألباني مع ألبانيا بينما أصبح الشمال في إطار يوغسلافيا (٩) •

لقـد كان هذا التقسيم في الواقع ترسيخاً تقريبياً للحدود بين لهجتين واتجاهين • ففي ألبانيا كـانت تسـود اللهجة الجنوبية « التوسـك » بينما كانت تسود في يوغسلافيا اللهجة الشمالية « الغيغ » وفي ألبانيا كانت الحروف اللاتينية قـد أصبحت هي الأبجدية الوحيدة منذ ١٩١٨ وأخذت منذ ذلك الحين تتلاشى المفردات العربية من اللغة الألبانية الفصحى ، بينما استمرت لسنوات أكثر في القاموس الشعبي •

أما في الشمال في يوغسلافيا ، حيث كان الألبانيون يتعصبون أكثر للحروف العربية ، فقد اختلف الوضع نتيجة لظروف أخرى . ففي يوغسلافيا الملكية « ١٩١٨ — ١٩٤١ » منع الألبانيون من التعلم في لغتهم القومية ولذلك انفصلوا تماماً عن تطور اللغة والأدب في الدولة المجاورة — ألبانيا بحيث لم يبق لهم إلا بقايا العهد العثماني — الكتاتيب والمدارس الشرعية الاسلامية . وهكذا فقد حافظ الألبانيون في الشمال ، نتيجة لهذه المفارقة ، على صلتهم باللغة العربية والحروف العربية . ومع هذا على المفردات العربية التي كانت تزخر بها لغتهم .

خلال الحرب العالمية الثانية ١٩٤١ — ١٩٤٤ وجد الألبانيون أنفسهم في دولة واحدة — ألبانيا الكبرى — حيث عاد التواصل بين الشمال والجنوب . وحيث افتتحت في الشمال لأول مرة مدارس تعلم الألبانيين اللغة بالأبجدية الجديدة — اللاتينية . وقد استمر هذا الوضع في الشمال الذي أصبح ثانية ضمن يوغسلافيا ، الجمهورية الآن ، حيث تلاشت تدريجياً تقاليد الكتابة بالحروف العربية لصالح لغة قومية موحدة وأدب واحد بين الشمال والجنوب .

لقد كانت المفردات العربية تبدو بوضوح في القاموس الشعبي الألباني وفي الأدب الألباني المكتوب بالحروف العربية ، ولذلك فقد كان من الطبيعي أن تعيش هذه المفردات في يوغسلافيا أكثر بكثير . فلقد ادى منع التعليم باللغة الألبانية في يوغسلافيا الملكية ١٩١٨ — ١٩٤١ ، ومنع استيراد الكتب الألبانية من ألبانيا المجاورة ، الى أن يتشبث الألبانيون بما بقي لديهم ، أي الأدب الشعبي أو الأدب المكتوب بالحروف العربية ، وهذا جعل المفردات العربية حية أيضاً في اللغة اليومية .

في العقد الأول من يوغسلافيا الجمهورية ١٩٤٤ ـ ١٩٥٤ بدأ التحول يبـدو في اتجاهين متوازيين مع بروز الجيل الأول من المثقفين الألبانيين : التحول من الأدب الشعبي الشفهي الى الأدب المكتوب ، والتحول من الادب المكتوب بالحروف العربية الى الأدب المكتوب بالحروف اللاتينية ، التي كانت قد أصبحت في ألبانيا أبجدية قومية خلال فترة الانقطاع عن العالم ١٩١٨ ـ ١٩٤١ • وهكذا برزت في تلك السنوات ١٩٤٤ ـ ١٩٥٤ المحاولات الأولـى في الشـعر والقصة والمسرحية ، ونشرت سنة ١٩٥٣ أول مجموعة شعريـة في اللغة الألبانية للشاعر أسعد مكولي • وفي هذين الاتجاهين أخذت تتقلص نسبة المفردات العربية بينما استمرت على ما هي عليـه في القاموس الشعبي لسبب بسيط ، إذ ان غالبيـة الألبانيين في ذلك الوقت كان قد فاتها التعليم في المدارس وأصبحت أمية مع مرور الوقت [١٠] •

في ١٩٥٧ اكتمل هذا التحول من الأدب الشعبي الشفهي الى المكتوب عندما صدرت أول رواية ألبانية « بدأ العنب ينضج » للكاتب سنان حساني [١١] • وفي الواقع ان تأخر هذا التحول ، وتأخر صدور أول رواية الى تلـك السنة ، انما يعبر في ذاته عن مدى العزلة التي فرضت على الألبانيين في يوغسلافيا لأن الأدب ، سواء في ألبانيا المجاورة أو حتى في يوغسلافيا ذاتها ، كان قد قطع شوطاً كبيراً من التطور • وعلى كل حال ان هذه الروايـة تهمنا بشكل خاص كمصدر عن مصير المفردات العربية في اللغة الألبانية • فقد كانت هذه الرواية تؤرخ نقطة فاصلـة بين عهدين ، بين عهد الأدب الشعبي والأدب المكتوب بالحـروف العربيـة وبين عهـد الأدب الجديد المكتوب بالأبجدية اللاتينية • فقد كان العهد الأول يتميز بوفرة المفردات العربية

في اللغة الألبانية ، سواء في القاموس الأدبي أم الشعبي . بينما أخذت هذه المفردات تتلاشى بسرعة في العهد الثاني ، في القاموس الأدبي أولاً ثم في القاموس الشعبي تدريجياً . ولكن نظراً لأن المؤلف من الجيل المخضرم فقد كان من الطبيعي أن نجد في الرواية بصمات العهد السابق ، ولذلك ليس من المستغرب ان تغص هذه الرواية أيضاً بالمفردات العربية . وبعبارة أخرى لقد كانت هذه الرواية، وعلى الرغم من المفردات العربية الكثيرة فيها ، تمثل بداية التخلي عن المفردات العربية للحاق باللغة القومية وبالأدب القومي في ألبانيا .

إن هذه الرواية تستعرض بالمناسبة المواجهة بين القديم والجديد وتبشر في النهاية بانتصار الجديد . وفي الواقع إن هذا ينطبق على الروايات اللاحقة ، سواء التي نشرها سنان حساني أو غيره من الروائيين اللاحقين . فحتى لو أخذنا بقية روايات حساني لوجدنا ان المفردات العربية قد انحسرت من الحد الأعلى الى الحد الأدنى الموجود في قاموس اللغة الفصحى الأخير الذي صدر في تيرانا سنة ١٩٨٠ ، أي في السنة التي صدرت فيها آخر رواية لحساني .

لقد نشرت الرواية الأولى « بدأ العنب ينضج » سنة ١٩٥٧ ، أي أننا نحتفل الآن بالذكرى الثلاثين لصدورها ، وفي هذا اشارة الى المسافة الواسعة التي أصبحت تفصلنا عن لغة الرواية . لقد نشر حساني هذه الرواية حين كان الجيل الأول من الألبانيين قد تخرج في المدرسة الثانوية ، وتحول الى جيل معلمين ليعلم الأجيال الجديدة، ولذلك نجده يضطر ان يضع في نهاية الرواية قائمة بالمفردات العربية التي استخدمها في الرواية مع ما يقابلها من المفردات الألبانية الجديدة .

هل كان يعني هذا ان المفردات العربية أصبحت تحتاج الى تفسير بين جيلين ، بين جيل المؤلف والجيل الجديد ؟ ربما ، ولكن كل تلك المفردات كانت لا تزال تستخـدم وقتئذ في القاموس الشعبـي واستمرت تستخدم الى فترة قريبـة • ولكن ما يثير هنا في هذه القائمة انها لا تضم كل المفردات العربية المستخدمة في الرواية : بل حوالي نصفها فقط ، وحول هـذا لا نجد تفسيراً سوى ان المؤلف قد وجـد ان بقية المفردات لا تحتاج الى تفسير لأنها لا تزال شائعة ومستخدمة ، أو أن تلك المفردات كانت شائعة الى حد كان من الصعب فصلها وقتئذ عن القاموس الألباني •

وعلى كل حال نعود هنا الى التأكيد على قيمة هذه الرواية التي حفظت لنا ماكان يستعمل من مفردات عربية قبل ٣٠ سنة في القاموس الأدبي • وهنـا تجدر الاشارة الى أن المفردات العربية كانت في ذلك الوقت أكثر بكثير مما ورد في هذه الرواية ، وقـد استمرت بعد ذلك التاريخ في القاموس الشعبي فقط ، ولا يزال الكثير من هذه المفردات يستخـدم الى اليوم في الحياة اليومية في الريف والى حد ما في المـدن •

في هذه الرواية نجد ان المفردات العربية تشمل الأسماء والمسميات التي تتناول مختلف الجوانب المادية والروحية • وحول هذه يلاحظ هنا ، كما أشرنا الى ذلك في البداية، ان هذه المفردات قد استقرت فقط في القاموس الألباني أي انها لم تدخل في عمق اللغـة الألبانية « القواعـد » •

ولكن يلاحظ من ناحية ثانية وجود عبارات عربية أيضاً وليس مجرد مفردات متفرقة • فمن هذه العبارات لدينا ما يدل على التعجب

« ماشاء اللــه » mashalla أو على الوعد « انشــاء اللــه » ishalla والقسم vallahi والتحيات « الســلام عليكم » selam alejkum والفراق « الوداع ياوطن » elvida vatan و « الوداع يادنيــا » elvida dunja الخ. وبشكل عام تستخدم هنا المفردات العربية في معناها الشائع عند العرب باستثناء بعض الحالات التي يطرأ فيهــا تغيير طفيف في المعنى . ففي بعض الحالات ، كما في هذه الرواية ، تستخدم صيغة الجمع بمعنــى المفرد مثــل « أولاد » evlad للدلالــة على ولد ، وفقراء fukara للدلالة على فقير الخ. أما فيما يتعلق ببقيــة الحالات فلدينا في هذه الرواية أيضاً بعض النماذج الشائعة في اللغــة الألبانية ، التي قد يكون من المفيد التوقف عندها :

ـــ محبة muhbet يقصد بها هنا حديث المحبة ، وبالتحديد الحديث الذي يخص عليه صاحب البيت مع ضيوفه لكي يشعرهم بالود والأنس في ضيافته .

ـــ نفقــة nafake تعني هنا ما كتبه الله للانسان في حياته ، وتشمل هنا مع الزوجة التي قدرها الله لكل انسان . ولذلك يقــال هنا « لكل انسان نفقتــه » أي قدره الذي كتبه الله له بما في ذلك الزوجــة التي سيتزوجها في يوم ما ، ومن هنا يقصد بـ « النفقة » الزوجــة بمعنى الجزء من الكل .

ـــ إدارة idara تستعمل هنا ، في اللغة الألبانية ، بمعنيين بينما لا تستعمل إلا نادراً بالمعنى الحديث المتعارف عليه . ففي المعنى الأول يقصــد بهــا الوضع الاقتصادي ـــ الحيــاتي للفــرد أو للعائلــة وبهذا المعنى وردت في الروايــة ((Me idara asht ma mire se une))

« ص ٢٥٧ » • أما فيما يتعلق بالمعنى الثاني فتستخدم بمعنى التدبر في المعيشة • فعندما يقول الألباني ((Po boim idare)) فهو يقصد « اننا تتدبر أمورنا بشكل ما » أو كما يقال « ما شـــي الحال » •

ــ مسافر mysafir في اللغة الألبانية تعني الضيف : وقد وردت عدة مرات بهذا المعنى في الرواية • ولا شك أن الظروف والعادات قد ربطت هنا بين المعنى الأصلي والمعنى اللاحق • ففي القرون السابقة ومع قلـــة الطرق المأمونة ، كان كل مسافر يعتبر من حقه اذا أنهكه الطريق أو خشـــي على نفسه من الظلام ، أن يطرق باب أول بيت حيث يستقبل كضيف • ويكفي هنا ، حسب العادات ، أن يطرق الباب ويقول : « هل تريدون مسافرين (ضيوف) ؟» ، بينما يجيبه صاحب البيت بالعبارة التقليدية : « كيف لا ، تفضل ! » • وعلى الرغم من تغير الظروف فقـــد بقيت عبارة « مسافر » mysafir تستخدم في الألبانية بمعنى ضيف ولا يوجد الآن بديل عنها في اللغة الفصحى •

والآن ، بعد هذه الملاحظات ، نعود الى الرواية لنستعرض المفردات العربية كما وردت بالتدريج ابتداء من الصفحة الأولى ، التي تحتل في الطبعة الثالثة الصفحة ٤٥ نظراً لأن الصفحات ٧ ــ ٤٤ تحتوي على مقدمة لأحد النقاد :

ــ علي عباس Ali Abaz (ص ٤٥) اسم علم ، وهو من الأسماء الشائعة لدى الألبانيين وخاصة بصيغتـــه المفردة (علي) *ALi*

ــ دف def (ص ٤٦) ويقصد بـــه هنا حصرا الأداة الموسيقية التي أصبحت أيضاً شائعـــة عند الألبانيين •

ـ بركة bereqet (ص ٤٦) تستخدم بمعنى محصول أو غلة الأرض على الربط بين الأرض والسماء .

ـ جامع xhami (٤٦) ويقصد بـه حصرا هنا الجامع الذي يحتوي على مئذنة (منـارة) ، أما الذي لا يحتوي على مئذنة فيطلق عليه (مسجـد) mesxhid .

ـ فرض farz (ص ٤٦) يستعمل هنا بمعنى الفرض الديني فقط .

ـ جهنم xhehenem ص (٤٦) .

ـ حسن Hassan ص (٤٧) وهو من الأسماء الشائعة أيضاً .

ـ بسم الله bismillah ص (٤٧) تستخدم هنا بنصها العربي قبل البدء بعمل ما ، وخاصة قبل البدء بتناول الطعام .

ـ رجب Rexhep (ص ٤٨) اسم علم ، وكان من الشائع أن يسمى به من يولد خلال شهر رجب .

ـ إمام imam (ص ٤٨) وهنا لا تستخدم إلا بمعناها الضيق ، أي امام الجامع .

ـ سلام عليكم selam alejkum (ص ٤٨) من التحيات التي التي كانت شائعة عند الألبانيين ، والتي لا تزال تستخدم عنـد كبار السن خاصة في القرى .

ـ عليكم سلام alejkum selam (ص ٤٨) للرد على التحية .

ـــ زيارة *zijaret* (ص ٤٩) .

ـــ جبة *xhybe* (ص ٤٩) وهي من الألبسة العربية التي شاعت هنا والتي يلتزم بها الشيوخ اليوم .

ـــ راحة *rahat* (ص ٥٠) ولكن هنا تستخدم بمعنى الصفة ، أي مرتـــاح .

ـــ فائدة *fajde* (ص ٥٠) تستخدم هنا على الغالب بمعناها الربــوي .

ـــ ترياقي *terjaki* (ص ٥٠) من الريق والترياق ، وتطلق هنا على الشخص المتعلق بشرب الشاي على الريق .

ـــ مسافر mysafir (ص ٥٠) بمعنى ضيف كما سبق شرحها .

ـــ اللـــــه *Allah* (ص ٥١) وهنا تستخدم كثيرا مع أن هناك ما يرادفهـــا في الألبانية *perendi* بالاضافة الى كلمة رب zot

ـــ مناسب *mynasib* (ص ٥١) .

ـــ حق *hak* (ص ٥١)

ـــ وقت *vakt* (ص ٥١) وهنا يلاحظ ، كما في الحالات المشابهة ان الواو العربية تقلب دائماً الى ف .

ـــ إكرام *ikram* (ص ٥١)

ـــ إطاعة itäat (ص ٥١) .

ـ حرام *harar* (ص ٥٢) وهي تستخدم هنا بالمعنى الديني،

ـ قسمة *kismet* (ص ٥٢) وتستخدم هنا بالمعنى الشائع كمرادف لنصيب : ما كتبه اللـه للانسان في هذه الحياة .

ـ عمر *ymer* (ص ٥٢)

ـ زمان *zamun* (ص ٥٢)

ـ مجبور *mexhbur* (ص ٥٢) .

ـ والله *vallahi* (ص ٥٢) وهي من عبارات القسم الشائعة

ـ تسبيح *tespihe* (ص ٥٣) تستعمل هنا بمعنى حبات التسبيح أي المسبحة .

ـ ماشاء اللـه *mashalla* (ص ٥٣) .

ـ أمانة *amanet* (ص ٥٣) .

ـ وعظ *vaiz* (ص ٥٣)

ـ كتاب *qitap* (ص ٥٣) ويستعمل على الغالب كمرادف للقرآن الكريم .

ـ شريعة *sherijat* (ص ٥٣)

ـ مثلا *mesala* (ص ٥٥) ، أي على سبيل المثال .

ـ هجوم *hygjym* (ص ٥٥)

ـ حساب *hesap* (ص ٥٥)

ـ خيرية *Hajrije* (ص ٥٥) اسم علم

ـ ربيعة *Rabije* (ص ٥٦) اسم علم

ـ إن شاء الله *ishalla* (ص ٥٧)

ـ إذن *izen* (ص ٥٧)

ـ قدري *kadri* (ص ٥٨) اسم علم

ـ فضلي *Fazli* (ص ٥٨) اسم علم

ـ معدن *maden* (ص ٦٣)

ـ حكومة *hyqymet* (ص ٣٦)

ـ مهمات *myhmat* (ص ٦٤) تستخدم هنا في صيغة الجمع وتعني المؤونة او الذخيرة أحياناً للمهمات العسكرية .

ـ معرفة *marifet* (ص ٦٥)

ـ وهبي *vehbi* (ص ٦٥) اسم علم

ـ خاطر *hater* (ص ٧٧) تستخدم هنا في أحد معانيها فقط ، بمعنى ما تستعمل فيه في العربية في القول (لأجل خاطري)

ـ كافر *qafir* (ص ٧٧)

ـ خلق *hallk* (ص ٧٨) وتستعمل هنا بمعنى الجمع والحشد من الناس ، وأحياناً تطلق كمرادف للناس .

ـ عادة *adet* (ص ٧٩)

ـ إلهيـة *ilahije* (ص ٨٦) ويقصد بها هنا القصيدة الدينية التي تنشد في المناسبات المحددة (في المولد النبوي مثلا)

ـ سبب *sebep* (ص ٨٦)

ـ عسكر *asker* (ص ٨٧) تستخدم في صيغة الجمع ويقصد المفرد ، أي عسكري

ـ عرض *erz* (ص ٨٧) بكسر العين وبمعنى الشرف .

ـ إدارة *idare* (ص ٨٧) وتعني هنا الوضع الاقتصادي ـ المعيشي أو التدبر في المعيشة كما سبق شرحها .

ـ حِصّة *hise* (ص ٨٧)

ـ مطلـق *mutllak* (ص ٨٨) أي بشكل مطلق أو مطلقاً .

ـ أعـوذ باللـه .. *eudhu billahi* (ص ٨٩)

ـ استغفار istikfar (ص ٨٩)

ـ صحن *sahan* (ص ٩٠)

ـ محبة *muhebet* (ص ٩٠) ويقصد بها هنا حديث المحبة كما سبـق شرحها .

ـ حيوان *hajvan* (ص ٩٠).

ـ دنيا *dunja* (ص٩٠)

ـ نفقة *nafake* (ص ١٠٥) تستعمل بمعنى القسمة والزوجة كما سبق شرحها .

ـ ياربي *jarabi* (ص ١١٢) وتستخدم هنا كما في أصلها العربي للمناجاة والدعاء .

ـ رحمة *rahmet* (ص ١١٢)

ـ بدعة *bidat* (ص ١١٢)

ـ شبهة *shybe* (ص ١١٢)

ـ إنصاف *insaf* (ص ١١٢)

ـ غفور *gafur* (ص ١١٤) وقد وردت هنا كصفة من صفات الله تعالى .

ـ رحيم *rrahim* (ص ١١٤) وقد وردت هنا أيضاً كصفة من صفات الله تعالى .

ومن الملاحظ هنا أن كل واحدة منهما تستخدم أيضا كاسم علم عند الألبانيين ، وفي هذه الرواية بالذات يلعب « رحيم » دور أحد الشخصيات .

ويلاحظ هنا أن الألبانيين يعمدون الى التخفيف فيحذفون كلمة عبد من الأسماء المركبة (عبد الرحمن ، عبد الباقي الخ) .

ـ شدة *shydet* (ص ١١٤)

ـ زنـا zina (ص ١١٨) وتستخـدم هنا أيضاً للدلالةعلى
العلاقة الجنسية غير الشرعية من وجهة نظر الدين

ـ حدود hudut (ص ١١٨)

ـ دعـاء dua (ص ١٢١)

ـ قبـول kabull (ص ١٢٢)

ـ حـلال hallal (ص ١٣١) وهي هنا عكس الحرام بالمفهوم
الدينـي •

ـ شهرة shehret (ص ١٣١)

ـ آلـة halat (ص ١٣١)

ـ فـرق ferk (ص ١٣١)•

ـ دقيقة dakika (ص ١٣٣) أي بمعنى جزء الساعـة •وتجدر
وتجدر الاشارة هنا الى انـه تستخدم أيضاً (ثانيـة) sanjie
و (ساعـة) saat في القاموس الشعبي•

ـ فقراء fukara (ص ١٣٤) تستخدم في صيغة الجمع بمعنى
المفرد ، أي فقير •

ـ ملـة milet (ص ١٣٤) تستعمل هنا بمعنى الشعب أو
الأمة التي تنتمي لدين واحد ،ويقصد بها هنا الأمة الاسلامية •

ـ باقي Baki (ص ١٣٩) اسم علم والأصل عبد الباقي•

ـ ضرر *zarar* (ص ١٣٩)

ـ شكـر *syqyr* (ص ١٣٩)

ـ فاطمـة *Fatima* (ص ١٤١) اسم علم

ـ حبس *haps* (ص ١٤٢) اسـم

ـ شعبان *shaban* (ص ١٤٢) علم وعلى الغالب كان يسمى بـه من كان يلد خلال شهر شعبان .

ـ لـذة *lezet* (ص ١٤٢) وهي من الكلمات العربية النادرة التي تشتق منها الصفة : لذيذة ولذيذة .

ـ قصـد *kast* (ص ١٤٣) ولكن هنا لا تستعمل بمعنى الهدف بل بمعنى التقصد ، أي التعمد في شيء .

ـ واقع *vaki* (ص ١٤٧) وهنا يقصد بها كل ما يمكن أن يحدث في الواقع .

ـ وطـن *vatan* ص (١٤٩)

ـ حرف *harf* (ص ١٥١)

ـ دين *din* (ص ١٥١) ويقصد بها على الغالب الدين الاسـلامي

ـ لا إلـه إلا اللـه *lailah ilalah* (ص ١٥١)

ـ أحـمـد *Ahmet* (ص ١٥٢) اسـم علم

ـ غائلـة gajle (ص ١٥٨)

ـ صـورة syret (ص ١٦٣)

ـ بلوغ bylyk (ص ١٧٢) ويقصد بها حصرا هنا مرحلة البلوغ عند الشباب .

ـ عذر yzer (ص ١٧٨)

ـ انكـار inkar (ص ١٧٩)

ـ درس ders (ص ١٨٠)

ـ بشـارة besharet (ص ١٨٢) وتستعمل هنا بمعنى الخبر.

ـ غيـرة gajret (ص ١٨٧)

ـ الوداع يا دنيـا evida dunja (ص ١٨٨

ـ أقربـاء akraba (ص ١٩٢)

ـ كفـن qefin (ص ١٩٢)

ـ ختمـة hatme (ص ١٩٢) ويقصد بـه هنا ما يقوله حصرا ختمة القرآن ، أي قراءة القرآن كلـه في بعض المناسبات المعينة.

ـ تلقين talhin (ص ١٩٢) ويقصد بـه هنا ما يقولـه في العربية فوق قبر الفقيـد ، وما يردده الحاضرون بعده ، عما يجب أن يجيب على أسئلة الملكين .

ـ جناح ‏ *gjynah* (ص ١٩٤) بضم الجيم أي كمرادف للاثم

ـ ضيافة ‏ *zijafet* (ص ١٩٥)

ـ شهادة ‏ (ص ١٩٦) ويقصد به التشهد هنا.

ـ صلوات ‏ *selavat* (ص ٩١٦) ويقصد به هنا دعاء الصلوات .

ـ جنة ‏ *xhenet* (ص ١٩٦)

ـ حورية ‏ *hyrije* (ص ٢٠٠)

ـ قسمة ‏ *kismet* (ص ٢٠٠) وتستعمل هنا كمرادف للنصيب .

ـ حمام ‏ *hamam* (ص ٢٠٤)

ـ تقصيرات ‏ *taksirat* (ص ٢٠٩) تستعمل هنا فقط بصيغة الجمع ويقصد بها معنى المفرد ، المصيبة او البلاء

ـ حسين ‏ *Hysen* (ص ٢١٦) اسم علم

عرض حال ‏ *arzuhall* ص (٢٢٣) أي بمعنى العريضة التي تقدم لطلب ما

ـ هواء ‏ *hava* (ص ٢٢٥)

ـ طبــــق *tabak* (ص ٢٢٨) وتستعمل هنا فقط بمعنى طبق الورق .

ـ حــــوادث *havadis* (ص ٢٣٠)

ـ عنــــاد *inat* (ص ٢٣٠)

ـ زكــــاة *zeqat* (ص ٢٣٢)

ـ الآخرة *ahiret* (ص ٢٣٢) أي الحياة الآخرة

ـ جمعة *xhuma* (ص ٢٣٢) أي يوم الجمعة

ـ مهلــة *myhlet* (ص ٢٣٣)

ـ خصم *hasem* (ص ٢٣٤)

ـ بائت *bajat* (ص ٢٣٥) وتستعمل هنا بعكس الطازج

ـ خرج *harxh* (ص ٢٣٥) أي بمعنى الصرف والانفاق

ـ مدرســــة *medrese* (ص ٢٣٥) وتستخدم هنا حصرا بمعنى المدرسة الشرعية الاسلامية

ـ وثيقــــة *vesikat* (ص ٢٤٧)

ـ نكــــاح *niqah* (ص ٢٣٩) أي كمرادف للزواج

ـ بــــلاء *bela* (ص ٢٤٢)

ـ شـــــر *sherr* (ص ٢٤٤)

ـ خبــــر *hajr* (ص ٢٤٤)

ـ رشيـــد *Rashit* (ص ٢٤٤) اسم علم

ـ ســــلام *selam* (ص ٢٤٥ ويقصد بها هنا التحية

ـ صبـــي *sabi* (ص ٢٤٥)

ـ خالـــد *Halit* (ص ٢٤٥) اسم علم

ـ منافـــق *munfaik* (ص ٢٤٦)

ـ عربـــي *arap* (ص ٢٤٦)

ـ رضـــى *riza* (ص ٢٥٠)

ـ خبـــر *haber* (ص٢٥٢)

ـ قيامـــة *kijamet* (ص ٢٥٤) أي يوم القيامة

ـ أمانـــة *amanet* (ص ٢٥٥)

ـ ثـــواب *sevap* (ص ٢٥٦)

ـ دور *dever* (ص ٢٥٩) أي بمعنى العصر

ـ محاكمـــة *muhaqame* (ص٢٦٥)

ـ مسخـــرة *maskara* (ص ٢٦٨) أي بمعنى مهزلة

ـ يتيـــم *jetim* (ص ٧٢٢)

ـ قهـــر *kaher* (ص ٢٧٢)

ـ انســـان *insan* (ص ٢٨٣) تستعمل بمعناها العربي وأحياناً كصفة للشخص ، أي إنســـاني .

وكخلاصة لما تقدم يمكن القول انه حتى بداية هذا القرن كـانت المفردات العربية قد أصبحت وثيقة الصلة بالناطقين بهـا في المناطق الألبانية بعـد عدة قرون من التآلف معها . وفي مطلع القرن العشرين بدأ تحديث اللغـة ، أي استبدال المفردات اللاتينية بالعربيـة ، في ألبانيا أولا ، منذ ١٩١٨ ، بينما بقي الوضع على ذاتـه لدى الألبانيين في يوغسلافيا وحتى الحرب العالمية الثانية .

وفي هذه المناسبة أخذنا كمصدر للمفردات العربية في اللغة الألبانية رواية (بدأ العنب ينضـج) لسنان حســاني لكونها أول رواية ألبانية ولأنهـا تفصل بين عهدين . فمع هذه الرواية بـدأ العد التنازلي للمفردات العربية في اللغة الألبانية في يوغسلافيا أيضاً بعد أن كانت قـد تلاشت تقريباً في ألبانيا . وعلى هذا الأساس نرى أن هذه الرواية تعتبر مصدرا لما كان يستعمل من المفردات العربية في وقت نشرها ، أي قبل ثلاثين سنة فقط .

إن إستعراض المفردات مع تنوعهـا وتعدد استعمالاتها يكشف عن مغزاها في هذه الرواية وحتى بشكل أعم ، لأن الكثير منهـا تبوح

بالدلالات الاجتماعية التي تختزنها (حلال ، حرام ، براكـة ، ثواب ، كافر ، بدعـة ، منافق الخ) • ومن هنا يمكن القول ان مجرداستعراض هذه المفردات يسمح للمرء أن يأخذ انطباعاً عاماً عن طبيعـة المجتمع الذي كان يعتمد على هذه المفردات في قاموسه اليومي •

وعلى كل حـال لقد سبق التشديد على أن هذه المفردات الواردة لا تمثل إلا قسماً من المفردات العربيـة التي كانت تستخـدم في الحياة اليومية في ذلك الوقت • والآن بعد ٣٠ سنة من صـدور هذه الرواية، يمكن القول أن معظم هـذه المفردات الواردة في هذه الرواية لاتزال في الذاكرة الشعبية مع انها قد تلاشـت من قاموس اللغة الفصحـى باستثناء ٥ ـ ٦ مفردات منها •



الهوامـــش

(*) نشرت الدراسة للمرة الأولى في مجلة الموقف الأدبي عدد ١٩٦ ، دمشـــق ١٩٨٧ .

(١) قـــد يكفي هنا ان نشير على سبيل المثال فقط الـــى آخر كتابين صدرا في ايطاليا . ففي الكتاب الأول ((الحضارات المتوسطيـــة القديمة)) معطيات عن وجود كلمات البانية في اللغـــة العبرية القديمة ، وهذا أوصل الى استنتاج بأن الفلسطينيين القدماء ، الذين هاجروا الى ارض كنعان في القرن ١٢ ق.م وجاوروا العبريين عـــدة قرون ، كانوا من الأليريين القدماء ، أي أجداد الألبانيين . وفي الكتاب الثانـــي ((الاله توت كان يتحـــدث الألبانية)) محاولـــة لاستقرار الصلات الممكنة بين الأليريين والفراعنة استنادا الى تفسير الرموز الهيروغليفية بما تبقى من الكلمات الألبانية الأصلية :

Hermin Falaschi, Antiche Civilta Mediterranee, Roma, NOI PUBBLICISTI, 1984,

Ciuseppe Catapano, Thot - Tat parava albanese, Bardi editare, Roma 1984.

(٢) محمد موفاكو ، اللغـــة العربيـــة في اللغـــة البانيـــة ، مجلـــة

((المعرفــة)) ، عدد ١٧٨ ، دمشق كانون الأول ١٩٧٦ ، ص ١٧٣ — ١٨٣ .

3) E . Cabej , gtudime gjuhesore , vol . III Prishtine 1978 p . 64,

Dr . Ivan popoviq Fjalet turqishte ne gjuhen shqipe, ((Perparimi)) No 10 , Prishtine 1956 , pp . 615 - 627 , Dr. Latif Berisha, Turqizmat ne gjuhen shqipe, ((Rilindja)) , Prishtine 4 . 9 1976

4) Muhamed Mufaku, Lidhjet letrare shqiptare - arabe, disertacion i doktarates, F . Filozofik, Prishtine 1980 , p . 102 .

وانظر ايضـــا :

د . حسين مجيب المصري ، صلات بين العرب والفرس والاتراك ، القاهرة ١٩٧١ ، ص ٣٢٠ .

(٥) في معركة كوسوفا الفاصلة (١٣٨٩) مثلا بين الجيش العثماني وجيش التحالف البلقاني نجـد ان الالبانيين كانوا في الطرفين ، قســم يقاتل مع الجيش العثماني وقسم يقاتل ضده :

Skenerd Rizaj, Kosova gjate shekujfe xv , xvi dhe xvii, Prishtime 1982, p. 17.

Dr . Jashar Rexhepagiq, Zhvillimi i aresimit dhe i sisemit shkollor te kombesise shqiptara ne territorin e Jugosllavise se stome deri me 1918, Prishtine 1970 , p. 33.

(٧) ولذلك فان الباحث تشابي يعتبر ((الخراج)) اول كلمة عربية دخلت الألبانية لمجرد انها وردت في رسالة للزعيم الألباني اسكندر بـك الى ملك صقلية ونابولي سنة ١٤٥١ . انظر :

Qabej, Studime gjuhesore, III Prishtine 1978 , p . 64

(٨) حول هذا انظر كتابنا : الثقافة الألبانية بالأبجديـة العربية ، سلسلة عالم المعرفـة ، الكويت ١٩٨٣ ، وبشكل خاص ص ٤٣ ـ ٤٤ .

(٩) للتوسـع حول هذا انظر الفصل الأخير من كتابنا المذكور .

(١٠) هناك تفاصيل اكثر حول هذا في مقدمتنا لـ :

مختارات من الشعر الألباني المعاصر ، دمشق ـ اتحـاد الكتـاب العرب ـ ١٩٨١ .

. u pjeke, Prishtine

الفهرس

د. الأرناؤوط ، محمد م . ملامح عربية اسلامية ، في الادب الالباني
دراسة ، منشورات اتحاد الكتـــاب العرب ، ١٦٠ ص قطع ١٧٫٥ × ٢٥
الطبعة الأولى .

مطبعة اتحـــاد الكتـــاب العرب
٢٠٠٠ ــ ١٢ ــ ١٩٩٠

اتحاد الكتاب العرب
Union des Ecrivains Arabes
Damas دمشق